المكتبات الوقفية ودورها في حفظ التراث
مكتبات المدينة المنورة نموذجا

د. محمد سيد عمر التنقيطي(*)

المقدمة

الحضارة الإسلامية حضارة علم وتعليم وعلماء، فمنذ اللحظة الأولى كانت أول الآيات المعبرة عن ذلك هي قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١) منذ تلك اللحظة الخالدة في غار حراء بمكة المكرمة، ظهرت واحدة من أعظم الحضارات الإنسانية، تحمل للبشر كل معاني الخير والتسامح والعدل والمساواة، وكانت العناية بالعلم وأهله أبرز سماتها، وقد تسابق أبناء الأمة الإسلامية في مجال العلم يبنون صروحه على مدى قرون متتابعة دون كلل ولا ملل، يحدوهم في ذلك الأجر العظيم الذي وعد الله ورسوله ﷺ به العلماء والمتعلمين.

وقد شرَّع النبي ﷺ تحبيس الأموال (وقفها) على أمور الخير والبر كافة، والتي كان من أبرزها الوقف على العلم والعلماء وطلبته. ومما يستدل به على ذلك ما رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا علَّمهُ ونشره، وولدًا صالحا تركه، ومصحفًا وَرَّثه، أو مسجدًا بناه، أو بيتًا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقه أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته"(٢). وأيضًا ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"(٣).

وبناء عليه اقترن العلم مع الوقف في عمل مشترك ومستمر، فالعلماء متفرغون للعلم والتعليم والمجتمع بمختلف فئاته من أمراء ووزراء وأثرياء، وحتى البسطاء من عامة الناس يبذلون أموالهم سخيَّة بها نفوسهم يدعمون مسيرة التعليم بمختلف أنواعه. ونتيجة لذلك انتشرت المكتبات الوقفية في الحضارة الإسلامية في مختلف الأقطار

(*) مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

(١) سورة العلق: الآيات ١ – ٥.

(٢) الألباني، محمد ناصر: صحيح سنن ابن ماجه، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ، ص ٤٦.

(٣) النووي، يحيى بن شرف: صحيح مسلم بسرح النووي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، ٨٥/١١.

شرقًا وغربًا. وتنوعت، فلم تعد حكرًا على أماكن العبادة كالمساجد، أو أماكن التعليم كالمدارس والكتاتيب فقط، بل شملت الأربطة والزوايا والمراصد والخانقاهات والبيمارستانات (المستشفيات)، حتى التُّرَب (المقابر) أقيمت فيها المكتبات الوقفية. وقد حفظت هذه المكتبات للأمة العربية والإسلامية الكثير من تراثها، بالرغم من كل ما تعرضت له من تعديات بشرية وكوارث طبيعية.

١/٠ - مشكلة الدراسة:

من خلال ما ذُكر سابقًا نلاحظ أن للمكتبات الوقفية دورًا بارزًا ومميزًا في الحضارة الإسلامية، وذلك بمحافظتها على تراث الأمة وعلومها ممثلا في المخطوطات التى كتبها أولئك العلماء على مر السنين، والتساؤل هنا، ما هي المكتبات الوقفية؟، وما هي مميزاتها؟، وهل هناك من سلبيات للمكتبات الوقفية؟، وهل يوجد نموذج يدلل على الدور الذي قامت به المكتبات الوقفية في الحفاظ على المخطوطات.

٠/ ٢ - تساؤلات الدراسة

من سؤال البحث السابق يمكن استنتاج التساؤلات التالية :

- ما هو تعريف المكتبات الوقفية؟
- ما هي مميزات إنشاء المكتبات الوقفية في التاريخ الإسلامي؟.
- هل توجد سلبيات للمكتبات الوقفية؟
- هل وجدت بالمدينة المنورة مكتبات وقفية؟، وما هي حصيلتها من المخطوطات؟.

٠/ ٣ - أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من كونها تسعى للكشف عن جانب مهم من جوانب تاريخ المكتبات الإسلامية المضيء. وذلك بالتعريف بالدور الرائد للمكتبات الوقفية في حفاظها على المخطوطات فى أرجاء العالم الإسلامي وعلى مدى قرون طويلة، وقد خدمت الحضارة الإنسانية بما حفظته من ذخائر ونوادر المخطوطات والكتب عبر التاريخ، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث؛ ليعرِّف بالمكتبات الوقفية، ومميزاتها وسلبياتها، مع ذكر نموذج لذلك ممثلا في المكتبات الوقفية القائمة حاليًا بالمدينة المنورة، وما حفظته من نوادر وتراث الأمة إلى يومنا هذا. والخروج بتوصيات يمكن أن تفيد مستقبل المكتبات الوقفية للحصول على أفضل عائد منها بما يخدم العلم والعلماء.

٠ / ٤ - أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تعريف المكتبات الوقفية، وأنواعها، ومميزاتها، وسلبياتها، ورصد محتويات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، وينقسم هذا الهدف إلى الأهداف التالية:

- وضع تعريف للمكتبات الوقفية.
- استنباط المزايا التي حظيت بها المكتبات الوقفية عبر القرون الماضية.
- التعرض للسلبيات التي قد تمر بها المكتبات الوقفية.
- رصد محتويات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة من المخطوطات.

٠ / ٥ - حدود تغطية الدراسة

٠ / ١/٥ - الحدود الموضوعية: تغطي هذه الدراسة مفهوم وأنواع المكتبات الوقفية، ومميزاتها وسلبياتها، مع التعرف على نموذج ممثل فى مكتبات المدينة المنورة الوقفية.

٠/٥/٢ - الحدود المكانية : ترصد الدراسة المخطوطات الموجودة في مكتبة المسجد النبوي الشريف، وكذلك مخطوطات المكتبات الوقفية المدمجة في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة.

٠/٦ - منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على **المنهج التاريخي** للوصول إلى معرفة أنواع المكتبات الوقفية، ومميزاتها وسلبياتها، كما استخدمت **المنهج الوصفي المسحي** للتعرف على محتويات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة من المخطوطات التراثية.

٠/٧ - أداة الدراسة

تعتمد الدراسة على:

- الاطلاع على المراجع والمصادر التي تتضمن معلومت عن تاريخ المكتبات الوقفية عمومًا، وتلك التي تتناول مزايا وسلبيات المكتبات الوقفية، للوصول إلى نتائج في هذا الخصوص.
- إجراء مسح ميداني للمكتبات الوقفية المدينة، للحصول على معلومات عن محتوياتها من المخطوطات والكتب.

٠/٨ - المصطلحات المستخدمة في الدراسة:

٠/٨/١ - الوقف: انتشر لفظ الوقف والأوقاف فى العالم العربي والإسلامي منذ قرون، ووجد للوقف وزارات في معظم الدول الإسلامية، ومعنى كلمة الوقف لغةً: الحبس والمنع، وهو مصدر الشيء إذا حبسته وأوقفته، والوقف شرعًا: حبس العَيْن عن أن تُملَّك لأحد من العباد. والتصدق بمنفعتها ابتداء وانتهاء. أو انتهاء فقط. واختلف العلماء فى معنى الوقف اصطلاحًا، ولعل أقرب تعريف هو ذلك الذي ذهب إليه ابن قدامة ـ يرحمه الله ـ حيث قال: "والوقف مستَحبٌّ، ومعناه تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة"(١). والباحث يميل إلى تعريف محمد أبو زهرة "الوقف: حبس العين، والتصدق بمنفعتها"(٢).

٠/٨/٢ - الواقف: الواقف هو الشخص الذي يوقِف ماله أو جزءًا من ماله لأعمال الخير والبر، وحتى يكون الوقف صحيحًا يلزم توافر عدة شروط فيه، يذكر صالح السعد "الوقف كما يقول الفقهاء عقد من عقود التبرعات؛ لذلك يلزم أن يكون الواقف ممن تتوافر فيهم أهلية التبرع، وهي أهلية الأداء الكاملة، بأن يكون بالغًا، عاقلا، حرا، غير محجور عليه لسفه أو غفلة"(٣).

٠/٨/٣ - شرط الواقف: للواقف أن يشترط شروطًا للوقف الذي أوقفه، وهي مُلزِمة لمن بعده. يقول عبدالجليل عشوب: "وهكذا كل شرط لا يضر بمصلحة الوقف ولا يخالف حكم الشرع فإنه يجب اتباعه والعمل به"(٤)، ويلزم أن تكون الشروط موافقة للشرع وغير مضرة بالوقف، لتكون نافذة ومُلزَمًا بتنفيذها من يتولى مسئولية إدارة الوقف، قال صالح السعد: قال ابن تيمية: "وقد اتفق المسلمون على أن شروط الواقف تنقسم إلى: صحيح، وفاسد كالشروط فى سائر العقود" وعليه يمكن تقسيم اشتراطات الواقفين إلى نوعين:

أ - اشتراطات صحيحة: وهى ما يشترطه الواقف مما لا يخالف الشرع، ولا ينافي مقتضى العقد ولا يتعارض مع مصلحة الوقف والمستحقين له، وهذه لا حرج فيها.

ب - اشتراطات غير صحيحة (فاسدة)، وهي التي تخالف الشرع، أو تنافي مقتضى العقد، أو تتعارض مع مصلحة الوقف أو المستحقين له(٥).

---

(١) السعد، صالح بن عبدالرحمن، الوقف في الإسلام، ودوره في تنمية المجتمع، ط ١. جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٠، ص ٩ - ١٠.

(٢) السابق...، ص ١٠.

(٣) السابق...، ص ٢٩.

(٤) عشوب، عبدالجليل عبدالرحمن، كتاب الوقف، ط ١. القاهرة: دار الآفاق العربية، والدراسات الإسلامية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٤٦.

(٥) السعد ... الوقف في الإسلام، ص ٣٠ - ٣١.

٩/٠ - الدراسات السابقة

من خلال مراجعة الإنتاج الفكري تم رصد العديد من الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوعات لها علاقة بالمكتبات الوقفية بشكل ما، ولكن لم يُتَوَصَّل إلى دراسة وافية تغطي موضوع البحث بالشكل الذي تهدف هذه الدراسة إلى إنجازه، واستفاد البحث من المصادر التالية:

- في كتابه (الوقف وبنية المكتبة العربية) تناول يحيى محمود بن جنيد عددًا كبيرا من المكتبات الوقفية في العالم الإسلامي شرقًا وغربًا، ومنها ممكتبة المسجد النبوي، ومكتبة عارف حكمت، وتناول عددًا من المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، ولكنه لم يشملها جميعًا، وخاصة مكتبة الملك عبدالعزيز لم يرد ذكرها، وهي التي ضمت أكثر من ثلاثين مكتبة وقفية، وقد أورد البحث معلومات جد قيمة، ووضع أساسًا للبحث العلمي في موضوع المكتبات الوقفية يقتدى به، يقول المؤلف: "وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح نشأة ومسار المكتبة العربية التي اعتمدت على الوقف أو قامت عليه، دون تناول المكتبات الخاصة، أو تلك التي لم يثبت ما يؤيد وقفها، كل ذلك اعتمادًا على الشواهد التراثية طالما توفرت، مع الاستعانة بأعمال حديثة عند عدم توفر النص التراثي... وتنطلق الدراسة من مجموعة من المسلمات التي تتمحور حول التالي:

١ - أن وقف الكتب عند المسلمين كان العامل الأساسي في توفير المعرفة لطلاب العلم على مدى قرون طويلة.

٢ - أن هذا النمط من الوقف أسهم في انتشار المكتبات بأنواعها المختلفة في التاريخ الإسلامي.

٣ - أن الكتب الوقفية تبددت، وفقد منها الكثير نتيجة للإهمال، وتعرضها للسرقة والنهب.

٤ - أن أغلب التراث العربي الإسلامي الذي تضمه المكتبات في العالم كان نتيجة لتجميع المكتبات الوقفية في العصر الحديث، أو التصرف في المكتبة الوقفية بالبيع؛ وبالتالي قيام أفراد أو هيئات بشرائها ووضعها في مكتبات من جديد"[1].

(١) جنيد، يحيى محمود ساعات، الوقف وبنية المكتبة العربية، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٩.

- وتناول محمد ماهر حمادة تاريخ المكتبات الإسلامية في كتابه (المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها) وذكر بعض المكتبات الوقفية مؤكدًا أن الوقف كان يعد مصدرًا مهما من مصادر تزويد الكتب وحبسها على المكتبات، وكان للمكتبات نصيب موفور من حسنات المحسنين وأوقاف الواقفين، حيث درج الخلفاء والحكام والأغنياء وأهل الخير على أن يوقفوا أشياء كثيرة على المساجد والمدارس؛ ولذا كان الوقف يعد مصدرًا مهمًا من مصادر تزويد المكتبات بالكتب(١).

- كتاب (مكتبة الملك عبدالعزيز بين الماضي والحاضر) لعبدالرحمن سليمان المزيني من المصادر الهامة عن مجموعة من المكتبات الوقفية الموجودة حاليًا بالمدينة المنورة، ويلقي هذا المصدر الضوء على أنواع من المكتبات الوقفية هي أربع مكتبات عامة، وسبع مكتبات مدرسية وقفية، وثلاث مكتبات وأربطة، وتسع مكتبات وقفية خاصة تقع جميعًا تحت مظلة مكتبة الملك عبدالعزيز، ولا يعني هذا أن هذه هي جميع المكتبات الوقفية بالمدينة، ذلك أن كلا من مكتبة المصحف ومكتبة المسجد النبوي الشريف مستقلة بذاتها فى داخل المسجد، إضافة إلى عدد من المكتبات الوقفية الخاصة التي يحتفظ أهلها بها(٢).

- ومن الدراسات التي تتعلق بموضوع البحث دراسة بعنوان (أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة) أعدتها سحر بنت عبدالرحمن الصديقي، وطبعها مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، وتقع في ٥٠٠ صفحة، وتناولت الدراسة بقية المكتبات بالمدينة المنورة سردًا حسب ذكر بعض المصادر لها، ذلك أن هدف هذه الدراسة معرفة أثر الوقف على الحياة العلمية والتعليمية بالمدينة المنورة. وفى معرض حديث المؤلفة عن المكتابت الوقفية بالمدينة المنورة تقول: "تجمَّع في المدينة في العهد العثماني مكتبات عظيمة، أُلحِق معظمها بالمسجد أو خارجه، والتي تكون في الغالب موقوفة لمصلحة الطلاب الذين يدرسون بالمسجد، مما جعل المدينة بجانب دورها الديني وقداستها تلعب دورًا مهما في مجال العلم والتعلم، بما احتوته مكتباتها من كنوز المخطوطات ونفائسها، التى توسَّعت وتطورت من خلال الوقف وتبرعات السلاطين والملوك والعلماء والأثرياء، وتنوعت هذه المكتبات إلى مكتبات عامة كمكتبات المساجد

(١) حمادة، محمد ماهر، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها، ط ٢. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٨٩هـ. ١٩٧٨م. ص ١٠.

(٢) المزيني، عبدالرحمن سليمان، مكتبة الملك عبدالعزيز بين الماضي والحاضر، ط ١. الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م. ص ١١.

والجوامع والأربطة والمدارس، أو المكتبات التي أنشأها الخليفة أو الحاكم أو الأثرياء، ومكتبات خاصة يملكها العلماء والفقهاء وغيرهم"[١].

- وفي كتابه (فصول من تاريخ المدينة المنورة) أورد علي حافظ معلومات عن عدد من مكتبات المدينة العامة والخاصة، بعضها اندثر والبعض لا زال قائمًا، وأهم ما تناوله من المكتبات تلك التي كونت مجموعاتها المكتبة العامة التى أنشئت بقرار من الملك سعود بهدف الحفاظ على المكتبات الوقفية المتناثرة حول المسجد النبوي عندما بدأت عملية الإزالة للأحياء المجاورة له بهدف توسعته[٢].

- رسالة الماجستير التي أعدها حمادي على التونسي بعنوان: (المكتبات العامة بالمدينة المنورة: ماضيها وحاضرها) من الدراسات العلمية التي تناولت المكتبات بالمدينة المنورة وغطت أربعًا من المكتبات العامة بها، وتعرضت لذكر بعض المكتبات الوقفية، لكنها لم تشمل جميع المكتبات الوقفية؛ ذلك أن هدف الدراسة كان مقصورًا على أربع مكتبات رئيسة بالمدينة. ويقول الباحث عن ذلك في مقدمة رسالته: "يبحث الباب الأول منها في تاريخ المكتبات العامة بالمدينة المنورة، وهي: المكتبة المحمودية، ومكتبة عارف حكمت، ومكتبة الحرم النبوي الشريف، ثم مكتبة المدينة العامة، مرتبة على هذا النسق نظرًا لأقدمية إنشاء كل منها، كما يبحث الباب الثاني عن واقع هذه المكتبات الأربع، مضافًا إليها المكتبة العامة التابعة لوزارة المعارف"[٣]. ويتضح مما سبق أن موضوع الرسالة كان عن المكتبات العامة بالمدينة المنورة، وإن كان بعضها مكتبات وقفية، ولكن الدراسة وفّرت كما من المعلومات عن المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة سوف يساعد الباحثين في دراستهم المتعلقة بهذا الموضوع.

- ومن المصادر كتاب (صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة) لياسين أحمد الخياري، ذلك أن والده كُلِّف من قِبَل الدولة السعودية بإعادة تأسيس مكتبة الحرم النبوي الشريف في عام ١٣٥٩هـ، حيث ضم والده مجموعته الخاصة إلى ١٢ مصدرًا

(١) الصديقي، سحر عبدالرحمن، أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م. ص ٤٢.

(٢) حافظ، علي، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ط ٣. جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

(٣) التونسي، حمادي على محمد. الكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها. رسالة ماجستير، جدة: قسم المكتبات والمعلومات، كلية الآداب، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص ١١٣.

آخر تم تجميع الكتب منها لتكون نواة لإعادة مكتبة الحرم النبوي لدورها الريادي[١].

- ومن المقالات المنشورة في مجال البحث مقالة بعنوان: (مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني) لعبداللطيف عبدالله بن دهيش، تحوي معلومات عن بعض المكتبات الوقفية، وخاصة تأسيس بعضها مثل المكتبة المحمودية والعثمانية، ودور مكتبة عارف حكمت فى حفظ النوادر، وبعض المكتبات الخاصة في عهد الأشراف، يقول الكاتب: "وفي هذا البحث القصير سوف نستعرض تاريخ أهم المكتبات العامة والخاصة في المدينة المنورة خلال العهد العثماني فقط، وذلك على ضوء المعلومات التي أمكننا الحصول عليها، على أن تتبع تاريخ المكتبات في هذه المدينة المقدسة أمر فيه بعض الصعوبة؛ وذلك لقلة المراجع المتخصصة التي تبحث في هذا الموضوع"[٢].

- وصدر مؤخرًا عن الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي كتابٌ تعريفيٌ بعنوان: (مكتبة المسجد النبوي: النشأة والأثر) ويضم الكثير من المعلومات عن المكتبة، وتعريفًا بأقسامها المختلفة، التقليدية بقسميها: الرجال، والنسائى، وكذلك المكتبة الرقيمة، ومكتبة المخطوطات[٣].

١/٠ - تعريف المكتبات الوقفية

يتكون مصطلح المكتبة الوقفية من جزأين: لفظ مكتبة، ولفظ وقف، وللوصول إلى تعريف يشمل اللفظين نتعرف أولا على معنى كل لفظ، فالمعجم الموسوعي يعرف المكتبة (Library): بأنها :

١ - مجموعة من الكتب والمواد الأخرى المحفوظة للقراءة والدراسة والاستشارة.

٢ - مكان أو مبنى أو حجرة أو حجرات معدة لحفظ واستعمال مجموعات من الكتب...إلخ"[٤]. وعن لفظ المكتبة يقول محمد ماهر حمادة بأنها: "مؤسسة ثقافية اجتماعية توجد في مجتمع من المجتمعات، وتهدف لخدمة ذلك المجتمع عن طريق جمع

(١) الخياري، أحمد ياسين، صورة من الحياة الاجتماعية، ط ١. جدة: مطابع مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤١٣هـ/ ١٣٩٨م، ص ١١٣.

(٢) ابن دهيش، عبداللطيف عبدالله، مكتبات المدنية المنورة في العهد العثماني، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبدالعزيز، السنة ٣، ع٣، مكة المكرمة: فرع جامعة الملك عبدالعزيز، ١٣٩٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٧ - ١٤.

(٣) الرئاسة العامة لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي، مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير، ط١. المدينة المنورة: السروات، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(٤) الشامي، أحمد محمد. المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، الرياض: دار المريخ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٦٥٢.

المواد الثقافية التي تساعد ذلك المجتمع أفرادًا وجماعات، على زيادة حصيلته الحضارية وتحقيق متعته، وتسليم تلك المواد للأجيال القادمة سليمة متطورة، وتنظيمها تنظيمًا يتضمن الاستفادة منها"[١]/ ويقول ربحي عليان في تعريفه للمكتبة: "إذا كان لا بد من تعريف شامل للمكتبة يضعها في مكانها الطبيعي باعتبارها مؤسسة أوجدها الإنسان لتعمل علي خدمته من خلال قيامها بجمع ثروته الفكرية وتنظيمها ونقلها للأجيال القادمة، فيمكن القول: بأن المكتبة هى تلك المؤسسة الثقافية التربوية الاجتماعية التي وجدت لتجمع وتحفظ مجموعات معينة من مصادر المعرفة، بحيث ترتَّب وفق طرق معينة، وتحت إشراف فرد أو مجموعة أفراد متدربين على القيام بأعمال المكتبة وخدمة روادها"[٢].

وبالنسبة للوقف مر بنا سابقًا تعريفه، وهو حبس العين فلا يتصرف فيها بالبيع، ولا الرهن، ولا الهبة، ولا تنتقل بالميراث، وكلمة الوقف والحبس لها نفس المعنى، يقول محمد محمود التلاميد الشنقيطي في قصيدة له:[٣]

صارت جوامعها بعد الصلاة بها على الأذى والخنا موقُوفةً حُبُسا

وبالنسبة للغة الإنجليزية نجد أن كلمة (Endowment) هي المرادفة لمعنى الوقف، ورد في قاموس Webster's Third new International Dictionary أن معنى هذه الكلمة[٤]:

١ - عملية منح الهبات، أو التمويل أو الإمداد الدائم بالدعم.

٢ - شيء ما يتم منحه (وقفه) نسبة من دَخْل إحدى المؤسسات، على هيئة حصص من التمويلات مثل: القانون الإسلامي للأحوال الشخصية (The Islamic Law of Personal Status) حيث ذكر[٥] في الفصل ١٤: مصطلح وقف (حبس) يعني منع، تقييد، وبالمصطلحات القانونية تعنى «حماية شيء لمنعه أن يكون ملكية لشخص آخر».

(١) حماد.... علم المكتبات والمعلومات، ص ١٦.

(٢) عليان.... المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، ط١. عمان: دار صفاء للنشروالتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ١١٣.

(٣) حمدان، عاصم علي، صفحات من تاريخ الإبداع الأدبي بالمدينة المنور، ط١. جدة: الشركة السعودية للتوزيع، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ص ٥٥.

(4) Webster's Third new International Dictionary/ vI, A to G, Ch. 1998. p487.

(5) Nasir J. Jamal. The Islmic Law of Personal Status(. London. Graham & Trotman.

هذا وبالرغم من أن المصادر الأخرى استخدمت كلمة (Endowment) للتعبير عن مفهوم ومعنى الوقف ومن أمثلة ذلك استخدام عباس صالح طاشكندي لهذا المصطلح في رسالة الدكتوراه التي أنجزها بعنوان: **A Descriptiv Catalogue of the Historical Collection of the Scientific Menuscripts at the Library of 'Arif Hikmat in Medina, Saudi Arabis)** حيث ذكر أن من المصادر التي تعتمد عليها المكتبات الوقفية لتنمية مجموعاتها ما نصه: Endowments, and so on [1].

ومن خلال ما سبق ذكره توصل هذا البحث إلى تعريف المكتبة الوقفية بأنها: **هي المكتبة التى أنشئت بشكل قانوني عن طريق الأفراد أوالجهات الاعتبارية، بغرض تقديم خدماتها لأفراد المجتمع بشكل خيري حسب شروط الواقف.**

وهذه المكتبة عادة تكون مستقلة في مبانٍ خاصة بها، وقد يلحقها البعض بالجوامع أو المدارس أو الأربطة، وغيرها من الأماكن، وقد ينشئها بعض الحكام والوجهاء في منازلهم وتكون متاحة للإفادة منها، حسب شروط الواقفين.

١/٢ - أنواع المكتبات الوقفية

مع الأخذ في الاعتبار أن شرط الواقف هو الأساس في كل ما يخص أعمال البر، ومن ضمنها وقف الكتب والمكتبات، فقد يوحي أحيانًا اسم المكتبة أنها مكتبة خاصة ولكن شرط الواقف قد يخرجها من هذا المفهوم فتكون عامة، وقد يكون العكس صحيحًا أيضًا، وقد توصل هذا البحث إلى تقسيم المكتبات الوقفية إلى ثلاثة أنواع رئيسة، وهي:

١/١/٢أ - المكتبات الوقفية العامة

وهي التي تقدم خدماتها لعموم الجمهور، مثل: مكتبات المساجد، والمكتبات الوقفية العامة بالمدن، وكذلك التي يشترط مُوقِفُها أن تكون متاحة للجميع، حتى وإن كانت فيما يبدو أنها خاصة لأن العبرة بشرط الواقف.

١/٢/ب - المكتبات الوقفية الخاصة

وهي التي يتم إنشاؤها لخدمة فئة معينة أو ضمن مكان محدد لأشخاص معيَّنين، ومن أمثلتها: مكتبات المدارس، والكتاتيب، والأربطة، والزوايا، والبيمارستانات (المستشفيات)، والخانقاه، والمكتبات الخاصة.

---

(1) Tashkandy, Abbas Saleh A Descriptive Catalogue of the Historical Collection of the Scientific Manuscripts at the Library of 'Arif Hikmat in Medina, Saudi Arabia...p. 6.

٢/١/ج - المكتبات الوقفية المدمجة:

وهي مكتبة وقفية تم دمجها ضمن مكتبة أخرى، وقفية كانت أو غير وقفية. ويتم الدمج لأسباب مختلفة، مثل الخوف من ضياع محتوياتها، أو الخوف عليها من السرقة والنهب، أو لعدم تمكن القائمين عليها من الوفاء بمستلزمات العمل بها... إلخ. ومن أمثلتها المكتبات التي دمجت في مكتبة عارف حكمت زمن الأشراف أواخر الدولة العثمانية، وتلك التي دمجت في مكتبة المدينة العامة بتوجيه من الملك سعود، كما دمجت هى الأخرى في مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة.

وفيما يلي نستعرض أبرز أنواع المكتبات الوقفية التي مرت عبر تاريخ الحضارة الإسلامية، ثم نورد بعد ذلك نماذج لأشهر تلك المكتبات في مناطق جغرافية مختلفة من العالم الإسلامي.

٢/١/١ - مكتبات المساجد

ويعرف البستاني في قاموسه محيط المحيط: "مسجد: وجمعها مساجد، بيت الصلاة والعبادة عند المسلمين: "جامع المسجد الحرام": جامع مكة، "المسجد الأقصى": جامع القدس، "المسجد النبوي": جامع المدينة المنورة"(١).

ومكتبات المساجد أول وأقدم أنواع المكتبات الوقفية في الحضارة الإسلامية، فالمساجد وما تحويه وقف لعموم المسلمين. وكانت البداية من مكتبة المسجد النبوي في المدينة المنورة، فعند تدوين القرآن الكريم تم إيداع أول نسخة من تلك المصاحف التي خطها الصحابة الكرام في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمسجد النبوي، "وقد روى ابن شبة عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة، قال: إن أول مَن جمع القرآن في مصحف وكتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم وضعه في المسجد فأمر به أن يقرأ غداة"(٢). ويقول محمد ماهر حمادة: "فلما استمر القتلُ في الصحابة، وبخاصة القراء منهم أثناء حروب الردة زمن أبي بكر رضي الله عنه، خاف على القرآن من الضياع، فاستشار الصحابة في جمع القرآن في طرس واحد. فوافقوه عليه وشكلوا لجنة لهذا الغرض، يرأسها زيد بن ثابت، فكتبوا القرآن في الرق (الجلود)؛ لطول بقائه أو لأنه الموجود عندهم جينئذ، ولما

(١) البستاني، المعلم بطرس، محيط المحيط، قاموس عصري مطول للغة العربية، بيروت: دار الكتب العلمية، مج٨، ص ٣٢٦.

(٢) حماد، سامي زين العابدين، مصادر التشريع ونظم الحكم والإدارة في الإسلام، موسوعة الإدارة في الإسلام (مصادر التشريع ونظم الحكم)، جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ص ٣٢.

أتى الخليفة الراشد عثمان بن عفان، ورأى اختلاف الأمصار في قراءة القرآن أمر باستنساخ نسخة رسمية للقرآن، وتوزيعها على الأمصار، حتى لا يحدث اختلاف في القراءات بين المسلمين، فنسخت خمسة مصاحف أرسلت إلى الكوفة والبصرة ودمشق ومكة والمدينة، وأبقى عثمان لنفسه مصحفًا عُرِف بالمصحف الإمام"[١].

وقد حفظت مكتبات المساجد رصيدًا ضخمًا من تراث الأمة وعلومها، ودعمت المسيرة العلمية، وذلك بالرغم من كل ما تعرضت له من كوارث طبيعية، وتعديات بشرية. "وللتعرف على ضخامة ما كانت تحويه مكتبات الجوامع والمساجد فى أنحاء العالم الإسلامي، فإن في إمكان المرء الرجوع إلى كتاب سزكين حين أورد أسماء بعض الجوامع التي تضم مخطوطات، ووضع لها فهارس تنم عن محتوياتها"[٢]. ويقول محمد أمين: "بدأت الحياة العلمية في مصر بعد تحريرها من السيطرة البيزنطية، في مسجد عمرو ابن العاص، ولم تلبث أن أصبحت مساجد مصر الكبرى مثل جامع أحمد بن طولون، والجامع الأزهر من أشهر مراكز الحركة العلمية، ليس في مصر وحدها، بل في أنحاء الدولة الإسلامية"[٣].

ونتيجة لهذا الحراك العلمي بالمدينة كان من الطبيعي أن تكون بدايات ظهور الكتب والمكتبات في زمن الصحابة، الأمر الذي سنورد شواهده لاحقًا لتأكيد صحة هذه المقولة، والتي من آثارها الواضحة الأحاديث المنعنعة التي تملأ كتب الحديث إلى يومنا هذا، فليس هناك من حديث إلا ويروى عن صحابي، ومن أبرز كتب ذلك العصر تفسير ابن عباس الذي لا زال يطبع إلى يومنا هذا.

٢/١/٢ - مكتبات الكتاتيب: ومفردها كُتّاب "والكُتّاب جمع الكاتب، وموضع التعليم وقيل الكُتّاب الصبيان، وجمعه كتاتيب"[٤].

وقد ظهرت الكتاتيب بداية في المدينة المنورة، وكانت نواتها تتمثّل في تأسيس الرسول ﷺ لأول مؤسسة تعليمية بالمدينة، وذلك باتفاقه مع أسرى بدر - في السنة

(١) حماد، محمد ماهر، المكتبات فى الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها، ط٧. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٣٧.

(٢) جنيد، يحيى محمود ساعاتي، الوقف وبنية المكتبة العربية، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ص ٧٦.

(٣) أمين، محمد محمد، الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م. دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص ٢٥٩.

(٤) البستاني.... محيط المحيط، مج ٣، ص ٤٤٨.

الثانية من الهجرة ـ أن يكون عتقهم بتعليم الواحد منهم عددًا من صبيان المدينة القراءة والكتابة، ومن هنا كانت بداية الكتاتيب في تاريخ الحضارة الإسلامية، ومن بعدها جاء إنشاء المدارس على نفس النهج، يقول محمد باشميل عن موضوع أسرى بدر: "وأُطلِق سراح بعض الأسرى من غير فداء لفقرهم، كما اتفق مع المثقفين من الأسرى على إطلاق سراحهم مقابل قيامهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة"(١). ولعل هذا العمل، هو الأساس الذي أنشئت على نهجه الكتاتيب في الحضارة الإسلامية، والتي ظهرت أولا في المدينة المنورة، ثم انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي.

٣/١/٢ - مكتبات المدارس الوقفية:

"والمدرسة: الموضع الذي يدرس فيه القرآن وغيره، وتتعلم فيه الطلبة. سميت به لكثرة الدّرس فيها. وجمعها مدارس"(٢). واختلف المؤرخون في تاريخ تأسيس أول مدرسة نظامية في الحضارة الإسلامية، ولكن فيما يخص أول مدرسة احتوت على مكتبة وقفية، يقول يحيى جنيد: "وإذا كان من الصعب أن نحدد بشكل دقيق أول مدرسة في تاريخ الإسلام احتوت على مكتبة، إلا أن من الممكن أن نقول: إن من أقدمها ما كان في المدرسة البيهقية في نيسابور، فهذه المدرسة يعود تاريخها التقريبي إلى القرن الرابع الهجري، والتي كانت متخصصة في علم الحديث ضمت مكتبة وقفت عليها"(٣). وقد انتشرت المكتبات بالمدارس الوقفية في طول وعرض الخلافة الإسلامية، من الجزيرة العربية إلى ما وراء النهر، إلى بلاد الرافدين، والشام ومصر والمغرب والأندلس. وقد جاءت المكتبات الوقفية المدرسية تالية لمكتبات المساجد والكتاتيب، وكانت معينًا لا ينضب للمدرِّسين والدارسين جميعًا، والمدارس تنوَّع مستحقوها كما تنوَّع مدرسوها بحسب ما شرطه الواقف، وقد ساهم الوقف بدور فعال؛ بتوفيره مخصصات مالية للطلاب لمساعدتهم علي العيش، والتفرغ لطلب العلم.

٤/١/٢ - مكتبات الأربطة

يقول البستاني: "الرباط: ربط الشيء يربطه، ويربطه رَبْطًا أوثقه وشدّه، أى ضد حله، ورابط الجيش لازم ثغر العدوّ، والرجل فرسًا اتخذه للرباط"(٤). وينقل يحيى جنيد

(١) باشميل، محمد أسرى بدر (١٩) سابق.
(٢) البستاني...، محيط المحيط، مج٣، ص ٣١٩.
(٣) جنيد ...، الوقف وبنية المكتبة العربية. ص ٧٧.
(٤) البستاني...، محيط المحيط، مج٤، ص ٤٠.

عن المقريزي قوله: "الرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم، ولكل قوم دارهم، والرباط دارهم... ويذكر أحد الباحثين المعاصرين أن الرباط والخانقاهات كانتا تعمل جنبًا إلى جنب مع المدارس على رعاية شئون الطلبة الفقراء وإيوائهم... ومن هنا فقد أنشئت بداخلها مكتبات؛ كي يلجأ إليها الطلاب عند الرغبة في البحث والمطالعة خارج أوقات الدراسة الرسمية"(١).

وقد انتشرت الأربطة في العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة، ولا زال بعضها قائما إلى يومنا هذا. وقد تنوع مستحقوها بحسب ما يشترط الواقف، وكثير منها كان يشتمل على مدرسة، وبعضها على مكتبة، أو الاثنين معًا، أو على كتّاب لتعليم الصبيان القرآن الكريم، وأسهم الوقف إسهامًا مهمًا بتوفيره مخصصات لساكني الأربطة، ولما يحتاجه أهلها في معيشتهم وتعليمهم، وسكن الأربطة وتخرَّج فيها علماء كبار.

٥/١/٢ - مكتبات الخوانق

الخوانق: عرفت بالتكايا في العهد العثماني، وكان الغرض الشائع من إنشائها هو إيواء الدراويش المنقطعين للنُّسُك والعبادة، ولتدريس العلوم الدينية، أو توفيره مكتبة يرتادها من يشاء من طلاب العلم، أو تطبيب المرضى وعلاجهم. ويذكر المقريزي أن الخانقاهات "حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من سني الهجرة لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى(٢). وتقول سحر الصديقي: "وأما خانقاه فهو الاسم الفارسي لكلمة ربط بالعربية، وقد جرت العادة أن يعين لكل خانقاه شيخ أو أكثر... وقد جعلت هذه الخوانق تأخذ صورة المعهد العلمي بجانب التصوف حسبما يشترطه الواقف"(٣).

ويقول يحيى جنيد: "وكانت الربط والخانقاهات، التي كانت تأوى الفقراء والغرباء والطلاب وتعتمد اعتمادًا كلّيا على الوقف مسرحًا لنشاط علمي مكثف، ولا يستبعد المرء أن بعضها استُغِل في التعليم وإقامة حلقات الدرس نظرًا لمجاورة مجموعة كبيرة منها للمساجد والمدارس، إضافة إلى احتوائها خزائن للكتب، وإقامة أعلام مشاهير الفقهاء والعلماء فيها(٤).

(١) جنيد...، الوقف وبنية المكتبة العربي، ص ١٠٧ - ١٠٨.
(٢) السابق، ص ١٠٧.
(٣) الصديقي...، أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ٣٢.
(٤) جنيد...، الوقف وبنية المكتبة العربية، ص ١٠٧.

٦/١/٢ - مكتبات الزوايا

قد يخلط البعض بين الأربطة والخوانق والزوايا، إلا أن محمد محمد أمين يرى أن هناك فارقًا بين كل منها، فيقول عن الرباط: "فلا يشترط فيمن ينزل به أن يكون متبعا لأحد طرق التصوف؛ إذ هو عبارة عن ملجأ ومأوى لفقراء المسلمين، أو عتقاء الوقف... والخانقاه "هو مسجد وبيت الصوفية، يتسع لعدد كبير قد يصل إلى أربعمائة... ويشترط فيمن يقيم بالخانقاه أن يكون مُتَّبِعًا لإحدى الطرق الصوفية... أما الزوايا فهي في الغالب تنشأ برسم شخص معين ينقطع فيها للعبادة، ويلتف حوله مُحِبُّوه ومريدوه الذين يأخذون عنه الطريقة"[١]. وقد شاعت الزوايا في المدينة المنورة بسبب قدوم عدد من شيوخ الطرق الصوفية إليها، وإقامتهم بها، أو قدوم بعض أتباعهم، وكان المترددون عليها يقيمون الأذكار المقررة في طريقتهم، ويستمعون إلى دروس مختلفة يلقيها شيوخهم، ويقرأون في الكتب التي ألفها الشيوخ الأوائل، وفي الغالب كان لكل منها مكتبة محددة، فيها نسخ من القرآن الكريم وبعض التفاسير وبعض الكتب الصوفية، ومنها ما أنشئ لهدف تعليمي، ويغلب على ذلك زوايا العلماء، ومنها ما كان فرديًا يقيم به شيخ يقصده الناس والمريدون في أوقات معينة، ومنها ما كان جماعيًا يقيم فيه المريدون مع الشيخ.

٧/١/٢ - مكتبات المشافي (المارستانات)

في صورة معبرة عن مدى الرقى العلمي فى الحضارة العربية الإسلامية، نرى بشكل واضح وجلي تعدد أشكال المكتبات وانتشارها في مختلف المواقع، حتى فى مواطن المرض حيث الأسباب الداعية للخلود للراحة قوية، نجد المكتبات قد غَزَتْها أيضًا. و"المارستان أوالبيمارستان كلمة فارسية الأصل تعنى بمفهومنا المعاصر المستشفيات، وكانت معروفة ومنتشرة على مدى قرون طويلة فى أرجاء العالم الإسلامي، وكان بعضها مخصصًا للعلاج والدراسة في الوقت نفسه، وهو ما دفع بأحد الباحثين المعاصرين إلى اعتبارها مدارس طبية. والعجيب في الأمر أن تكون مكتبات البيمارستانات من أقدم ما عُرِف في تاريخ المكتبات العربية رغم التخصص الدقيق للمارستان أو البيمارستان"[٢]. ومن أشهر البيمارستانات:

- بيمارستان نور الدين زنكي في دمشق.

(١) أمين.... الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، ص ٢١٩ - ٢٢٢.

(٢) جنيد .... الوقف وبنية المكتبة العربية، ص ١٠٦.

- البيمارستان العضدي في بغداد.

بيمارستان أحمد بن طولون في القاهرة.

٨/١/٢ - مكتبات المراصد

لم تنتشر المراصد كما هو الحال بالنسبة للمدارس والأربطة، ولكنها وجدت في مواقع مختلفة من العالم الإسلامي في الشرق، وفي مصر. "والمرصد: موضع الرصد: رصَد حركاتها: رقبها، رصد النجوم: لاحظ حركاتها ومواقعها"[١]. ومن أشهر هذه المراصد:

- مرصد مراغة في أذربيجان.
- المرصد الحاكمي في القاهرة.
- مرصد ملكشاه في نيسابور.

٩/١/٢ - مكتبات الخلوات

يفضل بعض العلماء الانزواء عن الناس والبعد عنهم، وذلك بهدف الاشتغال بطلب العلم أو العبادة، لما يرون في مخالطة الناس من ضياع الوقت وإهداره لافائدة فيه، ومن هنا نشأت الخلوات عند أهل الديانات والعلماء أيضًا. "والخَلوة: المكان الذي يختلي فيه الرجل، جمعها خَلَوات، ومن هذا القبيل خلوات الدروز، وهي أبنية في صوامع معتزلة عن القرى تنفرد بها العقال منهم للعبادة، الواحدة منها خَلوة"[٢].

وقد انتشرت الخلوات في العديد من المساجد، وخاصة الحرمين الشريفين، وكانت عادةً لعالِم بعينه، وضم بعضها مكتبات خاصة بهؤلاء العلماء، ومنها خلوة الإمام السمهودي بالمسجد النبوي الشريف، والتي كانت تضم أكثر من ثلاثمائة كتاب، وكانت ضمن ما احترق يوم شبت النار في المسجد النبوي.

١٠/١/٢ - مكتبات التُّرَب:

ويعبر بها عن المقابر ، قال في محيط المحيط: "تربة: جمعها ترب، "واراه في تربته، في قبره"[٣]. وقد اهتمت بها بعض الأقطار الإسلامية، وأولتها عناية خاصة باعتبار أنها مكان تستجلب فيه الرحمة للأموات عبر الذكر والدعاء لهم، بينما أنكرها فريق آخر ورأى فيها نوع من البدع المنهي عنها، وقد ضمت بعض هذه التُّرَب مكتبات، من أشهرها:

(١) البستاني.... محيط المحيط. مج ٤، ص ٦٢.

(٢) البستاني.... محيط المحيط. مج٢. ص ٤٠.

(٣) البستاني.... محيط المحيط. مج١. ص ٣٧.

- تربة أم الخليفة في بغداد.
- القبة المنصورية بالقاهرة.
- تربة أحمد باشا الكوبري في استانبول.

١١/١/٢ - المكتبات الوقفية العامة

يتم إنشاء المكتبات العامة عادة لخدمة الجمهور بمختلف فئاته، وقد ظهرت نماذج لها في الحضارات القديمة، واستمر إنشاؤها عبر القرون وإلى يومنا هذا، حيث لا تكاد تخلو مدينة منها في مختلف الدول المتقدمة. يقول حسن رشاد: "المكتبات العامة مؤسسات ثقافية يحفظ فيها تراث الإنسانية الثقافي وخبراتها، ليكون في متناول المواطنين من كافة الطبقات والأجناس والأعمار والمهن، وبهذا تعد من أهم الوسائل التي تعين على نشر المعرفة والارتقاء بمستوى الفن والثقافة والبيئة، وهذا النوع من المكتبات ظهر في الشرق منذ زمن بعيد، فقد كان به منذ الحضارة الأولى مكتبات في قصور ومعابد مصر وآشور وبابل، وكان للعرب في العصر العباسي والعصر الأموي شأن كبير في هذا المضمار"[١].

وقد انتشرت المكتبات الوقفية العامة في العالم الإسلامي، وإن كان مسمى بعضها لا يوحي بأنها عامة؛ إذ تكون ضمن رباط، أو تحمل اسم شخص معين مثل مكتبة عارف حكمت، أو بشير أغا، أو المحمودية، وغيرها من المكتبات، إلا أن العبرة بشرط الواقف الذي ينص على استفادة الجميع منها.

١٢/١/٢ - المكتبات الوقفية الخاصة

وهي مكتبات ينشئها البعض في داره ويخصصها لنفسه وعائلته، أو لفائدة فئة معينة من المستفيدين، وبالتالي فهي غير متاحة لعموم الجمهور. وقد انتشرت في مواطن عدة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبلاد كمصر والشام والأندلس، ومع ظهور الدول الحديثة بعد عصر الاستعمار، قامت الدول بجمع محتوياتها ووضعها ضمن مكتبات قومية أو عامة مثل دار الكتب في مصر، والمكتبة العامة بالمدينة المنورة.

ومن المهم ملاحظة أنه مع كثرة تنوع المكتبات الوقفية إلا أن دلالة المسمى قد تختلف أحيانًا تبعًا لشرط الواقف كما تم التأكيد على ذلك سابقًا، فمثلا مكتبة الرباط أو الزاوية من المعلوم أنها خاصة بالمجموعة الموجودة في ذلك الرباط أو تلك الزاوية، إلا

(١) رشاد، حسن، المكتبات العامة، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ، ص ٥.

أن شرط الواقف قد يتيح استفادة الآخرين من مكتبتها، وقد يُتَوَسَّع في ذلك فيُسمَح لأهل الحي أو ربما المدينة جميعا بالاستفادة من هذه المكتبة، فتتحول من مكتبة وقفية خاصة كما يدل المسمى، إلى مكتبة وقفية عامة حسب شرط الواقف. وفي هذا المعنى يقول محمد ماهر حمادة: "فمن الناس من يوقف كتبه على المسلمين عامة دون تعيين فتوضع كتبه في خزانة الجامع، ومنهم من يخصص، فيقول: أوقفتها على المكان الفلاني أو البلد الفلانية أو أو... إلخ. ومنهم من يترك استعمالها حرًا، على حين يضع آخرون شروطًا لاستعمالها وإعارتها كما فعل القاضي ابن حبان الذي منع إعارة الكتب خارج المبنى، وكما فعل ابن خلدون الذى منع إعارة كتابه العبر إعارة خارجية إلا لقاء رهن، ولمدة لا تزيد على الشهرين، وبعضهم وقف كتبه على أهل العلم كما فعل ابن الخشاب"[١].

ويقول يحيى جنيد: "واعتمادًا على المصادر التي اطلعنا عليها نجد أن وقف دور الكتب أو خزائن الكتب المستقة هو أقدم أنواع وقف الكتب والمكتبات عند المسلمين، ومن الطبيعي أن يكون أوائل المسهمين في هذا النوع من الوقف هم الخلفاء والحكام والوزراء والأثرياء نظرا لتوفر المال لديهم، ووجود الحافز نحو المشاركة في عمل خيري عن طريق استغلال جزء من ثرواتهم للصالح العام رغبة في الثواب"[٢]. ومن المعلوم أن مكتبات المساجد والكتاتيب هي أقدم أنواع المكتبات الوقفية كما ورد ذكره سابقا عند الحديث عن مكتبات المساجد.

٠/٣ - مزايا المكتبات الوقفية وسلبياتها

كان للوقف الإسلامي أكبر الأثر في إنماء الحياة العلمية والاجتماعية لدى المسلمين عبر قرون طويلة، ويعتمد في مصادره على جهود وهبات المحسنين، فكان رافدًا آخر يساند جهود الدولة في البناء والتنمية، وربما تفوق عليها في بعض الأحيان عند نضوب موارد الدولة أو تعرضها للانهيار أو الزوال بسبب ظروف الحروب والفتن. فظل الوقف مستمرًا في عطائه للأفراد وللمجتمع بالرغم من كل الظروف، ومع تعرضه لبعض العقبات أحيانًا إلا أنه إجمالا يمثل واحدة من أجمل صور التكافل الاجتماعي الإنساني في خدمة الفرد للمجتمع، والبذل من أجل تعليمه وتنميته، والإحسان إلى أفراده ومختلف فئاته، وبالرغم من كل مزايا الوقف، وخاصة في مجال العلم والتعليم والكتب والمكتبات، إلا أن هناك بعض السلبيات التي قد يتعرض لها، وربما كانت سببًا مانعًا في

(١) حمادة...، المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها، ص ١٧٣.
(٢) جنيد ...، الوقف وبنية المكتبة العربية. ص ١٧.

حصول المنفعة المرجوة منه، وإن كانت هذه السلبيات لا توازي في حجمها المنافع الجمة لحقيقة، وواقع الوقف. وسيتم التعرض لها بغرض معرفتها؛ وذلك حتى يمكن التعامل معها ودراستها تمهيدًا لمعالجتها.

١/٣ - مزايا المكتبات الوقفية

١/١/٣ - حفظ الكثير من المصادر والمراجع العلمية للحضارة العربية الإسلامية

لقد كان لنظام الوقف الإسلامي وخاصة في مجال الكتب والمكتبات أكبر الأثر في المحافظة على تراث الحضارة العربية الإسلامية إبان ازدهارها في العصور الأولى، وأكبر شاهد على ذلك عشرات الألوف من المخطوطات العربية والإسلامية في مختلف العلوم والفنون التي تزخر بها المكتبات العامة والخاصة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقاهرة ودمشق، وبغداد، وفاس، وتونس، واستانبول وغيرها. هذا فضلا عما تم نقله أو بيعه للمكتبات الغربية في باريس ولندن ومدريد، ومدن أخرى كثيرة. وربما كان طريق الحصول عليها النهب أو السرقة، الأمر الذي أدى في أحيان معينة إلى تولي الدولة مسئولية هذه المكتبات للمحافظة على محتوياتها باعتبارها إرثًا قوميًا للأمة وللإنسانية جمعاء، وأكبر مثال على ذلك دار الكتب القومية بمصر، يقول حسن رشاد: "يرجع الفضل في تأسيس هذه الدار رسميًا إلى جهود المرحوم على مبارك وزير المعارف، فإنه لما رأى أكثر المخطوطات النفيسة التي حبسها المؤلفون والعلماء، ووقفها السلاطين والمماليك والأمراء على المدارس والمساجد والأضرحة وغيرها يتسرب إلي أوروبا وأمريكا، عرض على إسماعيل باشا أن يجمع هذه الكتب المتفرقة في الجهات الأميرية والمساجد وغيرها، في مكان واحد، فوافق الخديوي على ذلك سنة ١٨٧٠م وأسست الكتبخانة الخديوية، فبلغ عدد ما جمع فيها من الكتب نحو ثلاثين ألف مجلد، وجعل مقرها بالطابق الأرضى تجاه السلاملك بسراي مصطفى باشا فاضل بدرب الجماميز بجوار المدارس وقتئذٍ. وكان هذا الجمع بدء تأسيس دار الكتب، وأبيح للجمهور في ديسمبر سنة ١٨٧٠م القراءة فيها والاستعارة منها. ولما توفي مصطفى فاضل سنة ١٨٧٦م وجد عنده خزانة نفيسة بها أكثر من ثلاثة آلاف كتاب عربى، بخلاف نحو ألف كتاب أخرى بالتركية والفارسية فضمت هذه الكتب للدار"[٢].

(١) رشاد، حسن، المكتبات ورسالتها، ط ٣. القاهر: دار الفكر العربي ، ص ٣٤، ٣٥.

وقد كان لهذه المبادرة أثرها فى المحافظة على الإرث العلمي في مصر، وأخذت تنمو هذه المكتبة إلى أن أصبحت على ما هى عليه فى زماننا الحاضر واحدة من أكبر المكتبات القومية، يقول حسن رشاد عن تطورها التاريخى بعد ذلك: "ولوحظ بعد ذلك أن مكانها بدرب الجماميز أصبح يضيق بمحتوياتها؛ نظرًا للزيادة المطردة فى رصيدها فنقلت إلى السلاملك الذى كان يقابلها وظلت به إلى أن بُنِي لها وللمتحف الإسلامي الدار الحالية بباب الخلق. وقد تولى أمانتها عدد من المستشرقين الألمان حتى الحرب العالمية الأولى، ثم أشرف عليها أحمد لطفى السيد وجماعة من رجال الفكر والتربية كان آخرهم توفيق الحكيم، ثم تولاها أمناء ممن تدرجوا فى وظائفها، وبذلك بدأت دار الكتب بداية المكتبات الكبرى أواخر القرن التاسع عشر، فتجمع لها رصيد ممتاز من الكتب والمخطوطات، يبلغ حوالي مليون مجلد، منها حوالي ٨٠ ألف مخطوط. وقد شيدت لها الحكومة أخيرا مبنى ضخمًا على كورنيش النيل يليق بمكانتها، بوصفها المكتبة القومية لجمهورية مصر العربية"[١].

ومن خلال ما ذكره حسن رشاد في النص السابق يتضح أن واحدة من أكبر المكتبات القومية كان مبدؤها وأساسها الوقف، والحرص علي المحافظة على الإرث الحضاري العلمي الذي خلفه الأوائل، وحمايته من الضياع عبر التسرب للخارج بالبيع أو السرقة والنهب.

ويماثل هذا أيضًا تجميع المكتبات الوقفية المتناثرة بالمدينة المنورة خوفًا عليها من الضياع عند إزالة الأحياء القديمة بغرض توسعة المسجد النبوي الشريف، لتكون أساسًا للمكتبة العامة التي أنشأها الملك سعود بن عبدالعزيز بالمدينة المنورة، ومن بعدها مكتبة الملك عبدالعزيز بالمدينة المنورة أيضًا، وهو ما سيرد ذكره تفصيلا عند تناولنا لتاريخ المكتبات بالمدينة المنورة.

٢/١/٣ - عامل أساسي في دعم الحركة العلمية على مدى قرون

لقد كان وقف الكتب والمكتبات على الكتاتيب والمدارس وحلق التعليم في المساجد ومعاهد التعليم، من أهم الأسباب لدعم حركة العلم والتعليم في مختلف الحقب التاريخية، وفي مختلف الأقطار الإسلامية، بما وفرته من كتب ومصادر للمعلومات ومراجع تقدم العلم مجانًا للمعلمين والمتعلمين على حد سواء، يقول يحيى جنيد: "أسهم الوقف في إرساء دعائم ثقافية متنوعة في المجتمعات الإسلامية، من بينها:

(١) السابق، ص ٣٥.

- تشييد المدارس، وتعيين المدرسين فيها، والإنفاق على طلبة العلم.
- الاستفادة من المساجد في التعليم بإيجاد زوايا العلم وحلقات الدرس.
- العناية بتوفير مصادر للمعلومات في المدارس والمساجد والربط والمارستانات.

وقد شارك فى هذه الأنماط الوقفية قطاع عريض من المجتمع خلفاء وسلاطين وحكام وأمراء وأثرياء وعلماء ووزراء، وبعضٌ من عامة الناس، والمتتبع للتاريخ الإسلامي يدرك عظم العناية المولاة لإنشاء المدارس الوقفية التي انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي المعروف، إذ كان التسابق نحو إنشائها وإقامتها ظاهرة واضحة للعيان حتى بالقرى النائية، فما بالك بالمدن الكبيرة التي كانت تعج بالمدارس المتنوعة"[١]. ويقول محمد محمد أمين عن تأثير الوقف في العصر المملوكي على الحركة التعليمية: "وهذا يؤكد لنا أن ريع الأوقاف هو المصدر المالي الأساسي والوحيد لغالبية مدارس ومكاتب الأيتام في العصر المملوكي، وبالتالي فإن الحركة العلمية الواسعة التي شهدتها مصر في ذلك العصر، والتي تدين بوجودها إلى إنشاء المدارس واستمرار التعليم بها، وإنما هي في الحقيقة نتاج طبيعي لازدهار الوقف، وانتشاره في العصر المملوكي"[٢].

وقد بدأ الوقف على المؤسسات التعليمية كما تشير معظم المصادر منذ العصر العباسي وكان في مبدئه معتمدًا علي جهود الواقفين الشخصية، ويقول سليمان عبدالله أبو الخيل: "ثم بدز التوسع في إنشاء المدارس معتمدًا على الأموال الموقوفة، ففي عهد الدولة العباسية رغم كثرة الدواوين التي وصلت إلى ثلاثين ديوانًا لم يكن بينها ديوان يختص بالتعليم؛ وذلك لأن النشاط التعليمي كان يعتمد أساسًا على الأموال الموقوفة، بل يذهب بعض الباحثين إلي أن كل مؤسسات التعليم التى أنشئت في ذلك الوقت كانت قائمة على الوقف" . ثم يورد أبو الخيل أمثلةً عدةً لذلك، لأزمنة وأماكن مختلفة . ومن أمثلة هذه المدارس المدرسة المستنصرية التى أسسها المستنصر بالله العباسي سنة ٦٣١هـ، وأوقف عليها وقفًا جليلا من مال وعقار.. «ومن النماذج على انتشار المدارس والوقف عليها في عصور الإسلام ما حصل فى الدولة الرسولية التي حكمت اليمن، حيث إن المدارس في عهد من سبقهم أصابها الركود، وبعد ظهورها أصبحت مشاعل هداية ومقصدًا لطلاب العلم والمعرفة من أنحاء البلاد اليمنية وغيرها من البلدان المجاورة، حتى أصبحت زبيد ثالث المدن العلمية في الجزيرة بعد مكة والمدينة، مما جعل

(١) جنيد ...، الوقف وبنية المكتبة العربية، ص ١٦.

(٢) أمين.... الأوقاف وأثره في تنمية موارد الجامعات، ص ٤٧ - ٥٠.

العلماء يفدون إليها بعد فراغهم من الأخذ عن علماء مكة والمدينة.... ومن النماذج على انتشار المدارس القائمة على الوقف ما أورده بعض المؤرخين أنه فى عام ٩٢٧هـ وقف بدمشق ما يقرب من ثمانمائة من دور القرآن الكريم والحديث والمدارس، وما يتعلق بها من الربط والمساجد والجوامع من الأوقاف. وسبق نقل كلام ابن خلدون عن آراء الترك في دولتهم، وأنهم استكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط، وأوقفوا عليها الأوقاف المغلة، وذلك لما فيها من الجنوح إلى الخير والتماس الأجور في المقاصد والأفعال، فكثرت الأوقاف، وعظمت الغلات، وكثر طلاب العلم ومعلموه بكثرة جرايتهم منها، وارتحل إليها الناس في طلب العلم وزخرت بحارها. وفي المغرب كثير من المدارس التي كانت أوقافًا خاصة وفيها مساكن معدة لسكنى الوافدين من طلبة العلم... هذا ما يتعلق بوقف دور العلم ومؤسسات التعليم، ويدل انتشارها على عناية بالحركة العلمية ومؤسساتها فى العصور السابقة"[1].

ولقد كان للمكتبات دورها الرئيس في دعم هذه الحركة العلمية، وصنع تلك الحضارة الإسلامية الشامخة، وخاصة في زمن الدولة العباسية، فقد كانت هي الأساس الذي مد العلماء والطلبة بما يحتاجون إليه من معارف ومعلومات، حيث بلغت محتوياتها حدا كبيرًا بمقاييس ذلك العصر، وكانت تقدم خدماتها للمستفيدين بأرقى وأكمل وجه ممكن، حيث كانت تعتمد على معونات وهبات المحسنين التي تمثل جلًها في الوقف. يقول ديورانت في كتابه قصة الحضارة: "وكانت في معظم المساجد مكتبات، كما كان في معظم المدن دور عامة للكتب، تضم عددًا كبيرًا منها، وكانت مفتحة الأبواب لطلاب العلم. وكان في مدينة الموصل عام ٩٥٠ (ميلاديًا) مكتبة عامة أنشأها بعض المحسنين، يجد فيها من يؤمونها حاجتهم من الكتب والورق. وبلغت فهارس الكتب التي اشتملت عليها مكتبة الرِّي العامة عشر مجلدات. وكانت مكتبة البصرة تعطي رواتب وإعانات لمن يشتغلون فيها من الطلاب، وقضى ياقوت الجغرافي في مكتبتي: مرو، وخوارزم ثلاث سنين يجمع المعلومات التي يتطلبها كتابه معجم البلدان. ولما أن دمر المغول بغداد كان فيها ست وثلاثون مكتبة عامة، فضلا عن عدد لا يحصى من المكتبات الخاصة، ذلك أنه كان من العادات المألوفة عند الأغنياء أن يقتني الواحد منهم مجموعة كبيرة من الكتب... وكان عند بعض الأمراء كالصاحب بن عباد من الكتب بقدر ما في دور الكتب الأوروبية مجتمعة. ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد العالم - اللهم إلا

(١) أبو الخيل.... الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات، ص ٤٧ - ٥٠.

في بلاد الصين في عهد منج هوانج . ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون: الثامن، والتاسع، والعاشر، والحادي عشر (الميلادي). ففي هذه القرون الأربعة بلغ الإسلام ذروة حياته الثقافية"[١].

٣/١/٣ - وفرت الجهد والوقت والمال للباحثين

كان للوقف واللمكتبات الوقفية دور كبير في مساندة ودعم جهود الباحثين عبر توفير المصادر من كتب ومعلومات، وأحيانا من خلال الدروس والمناقشات العلمية كما يحدث في مكتبات المساجد، أو عبر المساندة المادية بتوفير السكن والمعيشة لهم؛ ليتفرغوا لطلب العلم، يقول يحيى جنيد: "وقد انتشرت خزائن الكتب الوقفية في أرجاء العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري، لدرجة أننا قلّما نجد مدينة تخلو من كتب موقوفة وأصبحت هذه المكتبات بما فيها من كتب وقفية قبلة لطلاب العلم تعينهم على التزود بكل جديد، وتوفر لهم فرص مواكبة الأفكار والآراء المدونة لمؤلفين من أصقاع العالم الإسلامي، وقد بلغ من انتشارها وتوافرها في الأندلس أن أبا حيان النحوي كان يعيب على مشتري الكتب، ويقول: الله يرزقك عقلا تعيش به، وأنا أى كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف. وللتدليل على ضخامة عدد المكتبات الوقفية وشيوعها نشير إلى أنه كانت فى مدينة مرو الشاهجان عشرة خزائن للوقف، وذلك في القرن السابع الهجري"[٢]. ويضيف: "ويبدو أن كثيرا من الأعمال المشهورة التي كانت في حوزة علماء كبار كانت تستقر بشكل أو بآخر في مكتبات الوقف... وكانت مكتبات الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وراء حركة الازدهار الفكري الثقافي التي شهدها العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة، فقد اعتمد عليها علماء مشاهير في وضع مصنفاتهم، من مثل ياقوت الحموي الذي يشير إلى استفادته من خزائن كتب مرو الشاهجان، حيث يقول:" وأكثر فوائد هذا الكتاب (يقصد معجم البلدان) وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن"[٣].

وقد تجاوزت سمعة هذه المكتبات والندوات العلمية التي تعقد فيها حدود العالم الإسلامي لتكون هدفًا ومطمحًا لطلاب العلم من الخارج، يقول ربحي عليان: "وتقول المصادر أن الطلاب غير المسلمين من إنجلترا واسكوتلندا وبقية أوروبا كانوا يقصدون

(١) ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ج ٢، مج ٤، بيروت: دار الجيل، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٢) جنيد...، الوقف وبنية المكتبة العربية، ص ٣٣.

(٣) السابق...، ص ٣٤.

هذه الجلسات التي كانت تُعْقَد في جامع طليطلة الذي كان يضم مكتبة غنية اشتهرت كمركز للثقافة الإسلامية، وكانت هناك مجموعات ضخمة من الكتب في مختلف فروع المعرفة في كل من الحرم المكي والمسجد النبوي، غذاهما المسلمون بالكتب على مدى العصور، أما الجامع الأزهر فيعتبر أقدم جامعة في العالم، وكان يضم ـ ولا يزال ـ مكتبة غنية بثمرات العقول، والشيء نفسه لجامع الزيتونة في تونس:[١].

وقد كان الإنفاق على العلم والكتب والمكتبات وسيلة لنشر مذهب معين أو تغييره، وأوضح الأمثلة على ذلك نشر الفاطميين للمذهب الشيعي في شمال إفريقيا، وجعلهم مصر منارة لذلك، ومن بعدهم كانت جهود الأيوبيين لاستعادة المذهب السني. يقول ربحي عليان: "وإذا أتينا إلى مصر زمن الخلافة الفاطمية وجدنا اهتماما منقطع النظير بالعلم والكتب والمكتبات، ذلك أن الدعوة الفاطمية قامت على العلم"[٢].

وعن الطريقة التي قضى بها صلاح الدين الأيوبي على المذهب الشيعي واستعادة المذهب السني نجد أن الوقف لعب دورًا رئيسًا فى ذلك، يقول محمد أمين: "ويتفق هذا الاستنتاج مع الحكم العام الذى يمكن أن نطلقه بصفة عامة على أوقاف صلاح الدين، وهو القول بأن صلاح الدين اتخذ من نظام الأوقاف سبيلا لتدعيم حكمه السياسي، بعد أن قضى على حكم الفاطميين الشيعة، وأعاد مصر إلى حظيرة المذهب السني، وكان هدف صلاح الدين الأساسي من إنشاء المدارس في مصر هو تدعيم المذاهب السنية ونشرها في مصر، والبعد عن المذهب الشيعي، ووجد صلاح الدين أن الوقف على هذه المدارس، وعلى عمارتها، وفقهائها، وطلبة العلم بها، فيه ضمان لاستمرار هذه المدارس في أداء رسالتها، وتحقيق الهدف من إنشائها"[٣].

ولايقتصر اهتمام الوقف على النواحي المادية لطلبة العلم، بل تعدى ذلك إلى النواحي الاجتماعية بالاعتناء بسكنهم ومعيشتهم، ويرقى ذلك إلى تحقيق رغباتهم الشخصية، سواءً في المعيشة أو طريقة الدراسة، سعيًا وراء تفرغهم للدراسة والبحث والإبداع. تقول سحر الصديقي: "وبذلك فتح الوقف الباب أمام كل الفئات، مهما كان المستوى الاجتماعي والاقتصادي للتزود من العلم والمعرفة، فوفّر نفقات كبيرة ومتنوعة لا يقدر على تحملها إلا فئة قليلة في المجتمع: فهناك نفقات التعليم والحصول على الكتب، ونفقات السفر، ونفقات الإقامة، ونفقات الأكل والشرب واللبس والعلاج لطالب العلم.

(١) عليان.... المكتبات في الحضارة الإسلامية، ص ١١٦.

(٢) السابق..... ص ١٢٢.

(٣) أمين.... الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر، ٦٥، ٦٦.

ومن مظاهر العدالة الاجتماعية في التعليم التي وفرتها الأوقاف أن اشتملت الدراسة فيها على قسمين: قسم داخلي للغرباء الذين لا تساعدهم أحوالهم المادية أن يعيشوا على نفقات آبائهم، وهو بالمجان، فيهيأ للطالب الطعام، والنوم والاستذكار، والعبادة، وقسم خارجي لمن يريد أن يعود في المساء إلى بيت أهله وذويه، وتضيف: ومن مظاهر الرعاية ما توفره تلك المؤسسات من الإرشاد النفسي، والأكاديمي لطلاب العلم على أيدى علماء تلك المؤسسات مشتملة على الأخلاق، والواجبات، والجوانب الخاصة باختيار العلوم التي يدرسها الطالب، وأيضًا اختيار الشيخ الذي يتعلم على يديه؛ وبالتالي يؤدى ذلك إلى مزيد من الترغيب للمقتدر، ومزيد من التمكين والدعم لغير المقتدر"[١].

٤/١/٣ - من صور التكافل الاجتماعي الراقي بين المسلمين

حفلت قصة الحضارة الإسلامية عبر تاريخها بنماذج رائعة من صور التعاون والتكافل بمساعدة المعوزين والمحتاجيم، وكانت تلك الصور عبارة عن عربون وفاء للمدن أو المجتمع، وأحيانا تتبع من الإحساس بالمسئولية ولسد الخلل والنقص الحادث فيه، وربما شحذ تلك الهمم عنصر التنافس مع المدن والأمم المجاورة للتقدم عليها وحيازة قصب السبق في مجال العلم والتعلم، فسخت أنفسهم ببذل الأموال طيبة بها نفوسهم، ينشئون الأوقاف للفقراء والمساكين وأبناء السبيل والمرضى، وفي مجال العلم يتبرعون بذخائرهم لفائدة الفرد والمجتمع، فيوقفون الكتب وينشئون المكتبات. ومن الملاحظ أن الأوقاف في الحضارة الإسلامية كان معظمها بمبادرات فردية.

يقول عباس طاشكندي: "ولم نعرف عبر تاريخ العالم الإسلامي منذ نشوء دولة بني أمية وبني العباس حتى عهد متأخر أن تعمير المساجد وبناء المدارس والمعاهد، وإقامة الأربطة ودور الأيتام والمشافي، وتشييد المكتبات العامة والخاصة هي من مسئوليات الدولة بقدر ما كانت مسئولية إقامة تلك الهيئات جزءًا من مسئوليات الأفراد تجاه مجتمعاتهم، يثرون بتلك الالتزامات روابطهم بالمجتمع، وتعمق تحقيق التكافل المطلوب بين الأفراد القادرين والأفراد المحتاجين من شرائح المجتمع، يبتغون مرضاة الله ورضوانه، وعملا صالحًا متواصلا يسري مسرى الصدقة الجارية"[٢]. والمقصود بالصدقة الجارية هنا الوقف. ويمثل عباس طاشكندي لواحدة من تلك الصور بواقع المكتبات الوقفية في الحرمين الشريفين، فيقول: "والمكتبات الوقفية في المملكة العربية

(١) الصديقي.... أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ١٦، ١٧.

(٢) طاشكندي.... دور القطاع الخاص في دعم المكتبات الوقفية، ص ٦٣٨.

السعودية هي جزء من الصورة التي سادت المجتمعات الإسلامية بعامة والعربية خاصة، إذ استأثرت المدن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وبخاصة الحرمين الشريفين حين ظلا طوال التاريخ الإسلامية ـ وسيظلان إلى حين يرث الله الأرض ومن عليها ـ مركز إشعاع واستقطاب، لاهتمام الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء ورجال العلم والأثرياء من مناطق العالم الإسلامي كافة. وتوافرت نتيجة ذلك الاهتمام عدد من المكتبات الوقفية الملحقة بالحرمين الشريفين أو بالمدارس المحيطة بهما أو الربط المجاورة لهما، فضلا عن توافر العديد من المجموعات الخاصة التي أوقفت ضمن مجموعات المكتبات الوقفية في سائر أنحاء المملكة العربية السعودية"[١]. وعن مدى تأثير الوقف في المجتمع وعلى أصعدة مختلفة يقول عبدالله العويسي: "كما أن الوقف خلَّف آثارًا نظرية، كذلك ظهرت آثاره العملية من خلال المجالات المتنوعة والمتعددة التى شملت جوانب الحياة الاجتماعية، فقد نهض الوقف برسالة ضخمة في إقامة المؤسسات الخيرية ورعايتها، وبرزت أهميته بوجه خاص في توفر الرعاية الاجتماعية للطبقات الضعيفة والفقيرة، ولكل محتاج إلى العون والرعاية، كابن السبيل، وطالب العلم، والمريض، بل اتسع نطاقه ليشمل أوجه الحياة الاجتماعية. وتكاثرت الأوقاف وتنوعت تعبيرًا عن إحساس الواقفين بأن هناك ثغرة في المجتمع لا بد أن تستر، أو منكرًا يجب أن يزول، أو معروفًا مهملا يحب أن يراعى"[٢]. ويذهب عبدالله العويسي إلى أن الهدف من إنشاء الوقف هو لدوافع معينة تنتهي بتحقيق النفع للفرد عن طريق خدمة مجمتعه، فيقول: "أما ما يهدف إليه بصفة خاصة فهو استثمار الدوافع الذاتية لدى الإنسان بناء على ما جبل عليه، كالرغبة في الثواب، أو التكفير عن الخطأ، أو الشعور بالمسئولية، أو علاقة الرحم والقرابة، أو بناء على ما يعرض له كعدم وجود الوارث، أو الاغتراب، أو الرغبة في الحفاظ على ما يملك والإبقاء عليه في ذريته، فيكون الواقف محققًا لما يطمح إليه الإنسان بوجود الحافز، أو الدافع الذاتي، وإتاحة الفرصة له للتعبير عن ذلك الدافع بطريقة برٍّ صحيحة تعود عليه بالنفع في آخرته، وتنفع مجتمعه"[٣]. ويضيف: "فتنوعت الأوقاف بحسب الحوائج الناشئة في المجتمع، وأدى دورًا رئيسًا في نشر التربية والتعليم والتقدم العلمي، وكان السبب الرئيس لأغلب الإنجازات العلمية والحضارية في تاريخ الإسلام، وكان لمؤسساته أثرها الفعَّال في عملية التطور والنمو

(١) السابق.... ص ٦٤٢.

(٢) العويسي.... الوقف مكانته وأهميته الحضارية، ص ١٤.

(٣) السابق.... ص ١٠.

الاقتصادي في مختلف عصور الإسلام... فأمد المؤسسات الاجتماعية بالموارد المالية التي تعينها على أداء رسالته الإنسانية النبيلة، حيث تحقق أهدافها المباشرة، وتحقق بها التنمية الاقتصادية، إذ هي نتيجة غير مباشرة لكل هدف اجتماعي أقيم له وقف، لقد كانت الأوقاف حجر الأساس الذي قامت عليه كل المؤسسات الخيرية التي ظهرت في ديار المسلمين"[1].

٥/١/٣ - طريق للعمل الخيري، وتخليد للذكر الحسن

أتاحت الشريعة الإسلامية طرقًا ووسائل متعددة للمساهمة في العمل الخيري ومساعدة المعوزين والمحتاجين، فتم فرض الزكاة، وهي من أركان الإسلام وواجبة على الأغنياء، وذلك بهدف سد حاجة الفقراء، وفرض الكفارات التي تعطى للفقراء والمساكين أيضًا، ثم رغب في الصدقات بأنواعها المادية والمعنوية للجميع أغنياء وفقراء، وهي غير إلزامية وغير محددة بزمن أو مبلغ معين، ووعد بالجزاء الجميل عليها عاجلاً وآجلاً. وبناء عليه تسابق المسلمون في هذا المضمار على مدى القرون، كل بحسب رغبته وقدرته، وكان من ضمن هذه المجالات مجال الوقف، الذى كان للجميع شرف المساهمة فيه سواء كانوا حكامًا أو محكومين، أفرادًا وجماعات، رجالا ونساء. وفي الشواهد التي مرت سابقا ما يغني عن إيراد المزيد.

ومن الجميل في الوقف أنه يخلد اسم صاحبه على مدى قرون طويلة، ويظل ذكر صاحب الوقف قائمًا على مدى السنين ولا يذكر منه إلا الجميل من صنعه ومعروفه، فبئر عثمان رضي الله عنه التي تصدق بها على المسلمين في المدينة المنورة لا زالت حاضرة إلى يومنا هذا، معروفة باسمه، ومكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت كذلك، ومكتبة مظهر خلدت اسم الأسرة، وفي دمشق جامع الأمويين شاهد على ذلك، وفي فاس جامع القرويين، وفي مصر الأزهر خلد اسم الفاطميين، وغير ذلك كثير جدًا.

٠/٢/٣ - سلبيات المكتبات الوقفية:

لا يخلو عمل ولا مجال مهما تعددت حسناته من السلبيات، هذا بالرغم من أن وقف الكتب والمكتبات مجمع على أنه من أفضل أعمال البر والخير. والسلبيات حقيقة لاتقارن بالفوائد والمزايا التي يحققها هذا العمل، ويؤكد على هذا المعنى على النملة بعد سرده لعدد من الصعوبات التي تعترض وقف الكتب والمكتبات: «والملحوظ أن هذه الصعوبات التي تعترض وقف الكتب أو الوقف عليها لا ترقى إلى أن تحول دون

(١) السابق.... ص ٣، ٤.

الاستمرار في هذا النهج الحضاري المطلوب دائمًا في سبيل نشر الكتاب بين مريديه والمستفيدين منه، مما ينعكس إيجابًا على العلم والفكر والثقافة... ذلك أنه مع الصعوبات التى تعترض وقف الكتب والمكتبات، يظل هذا الأسلوب الحضاري من أهم الموارد التي تعين على بناء المكتبات»[١]. وقد أورد في مقالة نشرت له ضمن فعاليات (ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية) إحدى عشرة مشكلة اعتبرها المعوقات السلبية التي تواجه وقف المكتبات، وهي إجمالا:

١ - الوعي بالوقف.
٢ - الإعراض عن الوقف.
٣ - الجهل العلمي.
٤ - شرط الواقف.
٥ - الإجراءات الفنية.
٦ - النُّظُم والضوابط.
٧ - عزل الكتب.
٨ - السرقة.
٩ - البيع.
١٠ - الكوارث.
١١ - التقانة.[٢].

ويعزو يحيى جنيد السلبيات التي تواجه الكتب والمكتبات الوقفية إلى ثلاثة أسباب في مرحلة الانفراط، والتي يقول عنها: «وهي التي شهدت تدهور أوضاع المكتبات بتخريبها وتدميرها والسطو عليها وسوء إدارتها والتفريط في تحمل أمانتها. ففي هذه المرحلة واجهت أغلب الكتب والمكتبات الوقفية مصيرًا مؤلمًا ينم عن جحود ونكران المجتمعات التي قامت فيها، ذلك لأن أغلب ما حل بها من تفريط مصدره أفراد أو جماعات استفادت هي أو استفاد أسلافُها من محتوياتها، إضافة إلى أن بعضها نكب من جراء الغزو الخارجي أو بفعل الكوارث الطبيعية، خاصة الحرائق»[٣].

والأسباب الثلاثة التي يراها هي:

(١) النملة...، أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها، ومعوقات دوام الإفادة منها، ص ٥٦٦.
(٢) السابق...، ص ٥٥٢ - ٥٦٤.
(٣) جنيد...، الوقف وبنية المكتبة العربية، ص ١٧٢.

١ - الفتن والقلاقل والتغيرات السياسية

ولعلها كانت أكبر عنصر شر استغل في القضاء على البنية الثقافية العربية، وعلى رأسها تدمير المكتبات، فكان النهب والسلب والسرقة والحرق من الطرق التي كان المشاركون في الفتن أو عامة الناس من الجهلاء يلجأون إليها في التعامل مع الكتب والمكتبات.

٢ - استغلال الكتب الموقوفة ونهبها من قبل بعض العلماء

والمؤسف في الأمر أن بعض رجال العلم قد ساهموا في تدمير بنية المكتبة العربية التي شيدت علي الوقف العام، ونهبوا نفائسها للاستئثار بها لأنفسهم وحجبها عن عامة القراء.

٣ - تفريط المشرفين علي المكتبات وسوء إداراتهم

وكان لبعث المشرفين على المكتبات والكتب الوقفية دور مباشر في خلخلة بنيتها والإساءة إلى هدفها السامي، وذلك عن طريق التهاون في أداء الرسالة الموكلة إليهم، أو المشاركة في استغلال محتوياتها عن طريق تسهيل سطوها ونهبها أو إعارتها دون ضمان لبعض المتنفذين رغبة في الوصول إلى أغراض دنيوية عن طريقهم[١].

وهذا البحث يذهب إلى أن أهم السلبيات التي تواجه المكتبات الوقفية يمكن إجمالها تحت ثلاثة عناصر أساسية، هي:

١/٢/٣ - شرط الواقف بين السلبية والإيجابية

إذ قد يضع الواقف شرطا أو شروطا لا تتماشى مع النظام أو بيئة العمل، مما قد يؤثر فى حصول المنفعة المرجوة من هذا المشروع الخيري، وهذه يمكن معالجتها بالرجوع إلى الجهات المختصة بالإشراف على الأوقاف ومعالجتها؛ ذلك لأن فقه الشريعة الإسلامية حافل بالأحكام والتشريعات، تجيز تعديل الشروط والأحكام بما يحقق الفائدة المرجوة من الوقف، وبما يتماشى مع شروط الواقف؛ ولذلك أجاز الفقهاء نقل الوقف عند خراب الحى أو البلدة إلى مكان آخر تتحقق المنفعة فيه، وتم استحداث الحكر وغيره من الأحكام بما يخدم استمرار الوقف وعطائه.

ويعبر علي النملة عن ذلك فيقول: "وشرط الواقف، وهو مُعتَبَر شرعًا قد يكون عقبة في الإفادة من الكتاب أو الكتب الموقوفة، ولا سيما إذا كان الشرط بتعارض مع

(١) السابق...، ص ١٧٢ - ١٧٩.

النظرة الفنية لتنظيم المجموعات، إذ قد يشترط الواقف عزل الكتب عن بقية المجموعات الأخرى، وإفراد المكتبة الموقوفة بزاوية خاصة، وربما شرط أن يكون الاطلاع عليها مقصورا على فئة علمية محددة، إما بالعمل أو الجنس أو الانتماء الثقافي. وهذا يحد من الإفادة منها إفادة فاعلة، ولا سيما إذا علمنا أن وقف الكتب يمكن أن ينظر إليه على أنه من العلم الذي ينتفع به. وهذا هو مراد الواقف منه، إذ أنه يبحث عمن يستفيد من هذه الكتب التي أفاد منها هو في حياته، أو في فترة من فترات إقباله على القراءة، فلمَّا أحس أنه أعرض عنها لأى سبب، لم ينس أن هناك من يقبل عليها، فأتاحها للآخرين بوقفها عليهم"[١].

وما يعتبره البعض من أن شرط الواقف قد يكون عنصرًا سلبيًا في حق الوقف، قد يكون عنصرًا إيجابيًا في الحفاظ على الوقف واستمرار المنفعة منه، إذ أن الواقف عندما تصدق بهذا المال وحبسه في سبيل الله وخدمة الأفراد والمجتمع كان حريصًا علي الاستفادة الكاملة منه، وهو أدرى بالهدف، والمقصود من حبس هذا المال، والمنافع المرجوة من وراء ذلك، تقول سحر الصديقي: "يتضح لنا كيف أن الواقف اشترط شروطًا على المدرس أصبحت على مر السنين تقليدًا معمولا به، حرصًا على تنفيذ شرط الواقف، حتي ولو لم ينص على ذلك ... ولم يكتف الواقفون بتحديد شروط خاصة للمدرس، فهناك من الواقفين من اشترط كتبًا معينة للدراسة، وهو بذلك يضع الحد الأدنى في التعليم الذى يجب أن يلقنه المدرس لطلابه. ولما كان وقت المدرس لا يسع عادة شرح بعض الدروس لمن يحتاج إلى ذلك من الطلبة، فقد حرص بعض الواقفين على توفير معيد أو أكثر بالمدرسة يساعد المدرس الذى يتبعه في المذهب أو مادة التخصص فى أعماله، ويحضِّر الدروس التى يكلفه بها المدرس ليقرأها في أثناء الدرس"[٢]. وبناء عليه فإن شرط الواقف غالبًا يخدم الوقف والمنفعة المرجوة منه، وفي أحيان أخرى قد يكون عقبة في سبيل تحقيق المنفعة المرجوة منه. وهذه يمكن معالجتها عبر اللجوء للفقهاء أوالقضاء لإيجاد حل للتوفيق بين شرط الواقف وكيفية تحقيق المنفعة المرجوة من وقفه.

٢/٢/٣ - الكوارث الطبيعية

وهي سنة كونية تحدث على مر الأزمان وفي مختلف البلدان "تتعرض المكتبات الوقفية، مثلما تتعرض غيرها من المكتبات، للعوارض الكونية والكوارث الطبيعية،

(١) النملة...، أوقاف الكتب والمكتبات مدى استمرارها ومعوقات الإفادة منها، ص ٥٥٦ - ٥٥٧.

(٢) الصديقي...، أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ص ١٨.

كالزلازل التي تتعرض لها بعض بلاد المسلمين بين الفينة والأخرى. وقد تعرضت مصر، وهي غنية بالمكتبات الوقفية لهذه الكوارث أكثر من مرة. ويذكر السيد النشار: "أن المكتبات قد تأثرت بالزلازل التي مرت على مصر في العصر المملوكي سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م، وما تبعها من فيضانات أتت على المساجد والمدارس والبيوت، وفيها جميعًا مكتبات"(١).

إلا أن هذه الكوارث قد يكون لها جانب إيجابي آخر، فهي جعلت العلماء والفقهاء يدرسونها ليجدوا حلولا للمشاكل والنوازل التي تحدث، وينتج عنها تعطل مصالح الوقف، في مثل حالات الكوارث، أو الكساد. فلا يوجد من يستأجر الوقف فينضب مصدر الدخل؛ ولذلك وجدت حلول عبر استحداث أحكام مثل الحكر وعقد الإجارتين. يقول محمد الفاتح المغربي: "وقد تم اللجوء إلى هذا العقد إثر الحرائق التي شملت العقارات التابعة للأوقاف في القسطنطينية بعد عام ١٢٢٠هـ، حيث عجزت غلاتها من تجديدها وتشوه منظر البلدة، ولا يوجد من يقوم باستثمارها بإجارة واحدة بحيث يتم تعميرها؛ ولذا اهتمت الدولة العثمانية في ذلك الوقت بالبحث عن طريقة تكفل بها المؤسسات الخيرية (الأوقاف) واستمرار عملها من أجل تجديد ما خُرِّب منها، والطريقة هي عقد الإجارتين فاستحدثت هذه الطريقة ووضعت لها أحكامًا وضوابط مستندة في ذلك إلى القاعدتين الفقهيتين تُنزِل الحالة العامة منزلة الضرورة (الضرورات تبيح المحظورات). وبذلك أجازت الإجارة الطويلة في الأوقاف خلافًا للقياس لزيادة الحاجة، وتحديد وتخصيص الأجرة السنوية هو لإعلام الناس بأن العقار المؤجر هو عائد للوقف، فلا تكن هناك أى فرصة للمستأجر للادعاء بملكيته للوقف من ناحية، وكذلك لاعتبار تجديد العقد سنويا بدفع الإجارة، فلا يكن هناك مجال للاعتراض على صحة عقد الإجارة، كونها طويلة الأجل"(٢).

٣/٢/٣ - الأخطاء والعديات البشرية

تتعرض المكتبات الوقفية مثل غيرها من المشاريع الخيرية للتعديات البشرية، سواء كانت مقصودة أو غيره مقصودة عبر التفسير أو الفهم الخاطئ لشروط الواقف، وذلك نظرًا لاختلاف الزمان، أو تغير معاني ومفاهيم الكلمات والتعبير بها، وهذه أخطأ تلافيها من خلال الدراسة والبحث.

(١) النملة.... أوقاف الكتب والمكتبات مدى استمرارها ومعوقات الإفادة منها، ص ٥٦٣.

(٢) المغربي، محمد الفاتح، تمويل الوقف واستثماراته، أم درمان: الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ٢٠١١. ص ١٥٢.

وقد يكون ذلك عبر أخطاء مقصودة مثل النهب والسرقة، كما حصل من قبل عدد من الأشخاص ذكرت سيرهم في بعض المصادر، أو الحرق مثلما حدث في القسطنطينية عام ١٢٢٠هـ كما ذكر سابقا، وكالحريقين اللذين تعرض لهما المسجد النبوي، وكان من أثرهما حرق المكتبة الموجودة فيه ونهب الكثير من المخطوطات من ممتلكات المسجد في ذلك الوقت، كما سيأتي ذكره لاحقًا بإذن الله، وقد تتجاوز أعمال النهب الأفراد إلى الدول مثلما فعل المغول من إغراق المكتبات في العراق إثر غزوهم لها، وسلب الكثير منها. وكما يذكر بنعلة: "مثلما حدث من أسبانيا باستيلائها على حمولة سفينة من الكتب تابعة للمغرب، ولم يتم استرجاعها إلى اليوم"(١).

٠/٤ - دور المكتبات الوقفية في الحفاظ على المخطوطات بالمدينة المنورة

حفلت المدينة المنورة بالعديد من المكتبات الوقفية التي حافظت علي رصيد جيد من المخطوطات القيمة، سواء كانت مصاحف أو كتبًا. وبالرغم من كل التعديات البشرية والكوارث الطبيعية التي مرّت بها المكتبات الوقية بالمدينة المنورة والتي أرهقتها، إلا أنها لا زالت تحفل بنوادر المصاحف والمخطوطات، التي تمثل مراحل ونماذج الإبداع في مختلف الأقطار الإسلامية، وفيما يلي نورد حصرًا تاريخيًا للمخطوطات فيما قبل عهد الدولة السعودية، ثم نسرد محتويات هذه المكتبات من المصاحف والمخطوطات في الوقت الحاضر.

أشار علي بن موسى في رسالته لوصفه للمدينة عام ١٣٠٣هـ إلى بعض المكتبات الموجودة حينذاك، وذكر أنه يوجد مكتبات كثيرة في سائر المدارس، ولم يذكر عدد الكتب الموجودة في هذه المكتبات وموادها، واكتفى بذكر أسماء ثماني مدارس فقط، وحصرها على النحو التالي: فأما الكتبخانة فواحدة في دار العشرة تجاه بيت النائب المرحوم عارف حكمت بك شيخ الإسلام بالإسلامبول سابقًا، وهي أنظم الكل وأعلاهم، وواحدة للمرحوم أمين ابن شيخ الحرم - أسبق - قرب الشرشورة عند رأس زقاق المديرية، وواحدة للسلطان محمود في المدرسة المحمودية، وواحدة في مدرسة بشير أغا الملاصقة لباب السلام، وواحدة في المدرسة الحميدية جهة الساحة في آخر البلاد عند حارة الخرازة، وواحدة في بيت المرحوم السيد جمل الليل، وواحدة بأحمد بساطي، وواحدة في رباط سيدنا عثمان، وغير ذلك كثير في سائر المدارس، ولكنه بالنسبة إلى ما في هؤلاء فقليل"(٢).

(١) بنعلة...، تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، ص ٢٨.

(٢) موسى، الأفندى علي، رسالة في وصف المدينة، مخطوطة مودعة بدار الكتب برقم ١٤٦٦، القاهرة: ١٣٠٣هـ، ص ٢١.

وقد رصد أيوب صبري في كتابه (مرآة الحرمين) باللغة التركية أسماء وعدد الكتب الموجودة بالمدينة المنورة كما يوضحة الجدول التالي[١]:

جدول رقم (١) عدد مكتبات المدينة وما تحويه من كتب ومصاحف لأيوب صبري في عام ١٣٠٤هـ

م	عدد الكتب	البيانات	إيضاحات
١	١٨٠١	المصاحف الشريفة الموجودة بالروضة المطهرة	في المسجد النبوي
٢	٥٤٠٤	الكتب الموجودة في مكتبة عارف حكمت	مكتبة عامة
٣	١٥٨	الكتب الموجودة في مكتبة حاجي أمين باشا	مكتبة خاصة
٤	٢٠٦٣	الكتب الموجودة في مكتبة بشير آغا	مكتبة ومدرسة
٥	١٦٥٩	الكتب الموجودة في مكتبة الحميدية	مكتبة ومدرسة
٦	....	الكتب الموجودة في مكتبة جمل الليل	لم يتحقق من عددها
٧	١٠٥٠	الكتب الموجودة في مكتبة البساطي أفندي	مكتبة خاصة
٨	....	الكتب الموجودة في مكتبة رباط (سيدناعثمان)	لم يتحقق من عددها
٩	١٢٤٦	الكتب الموجودة في مكتبة فيض الله أفندي	مكتبة خاصة
١٠	١٢٦٩	الكتب الموجودة في مكتبة قرة باش	مكتبة ومدرسة
١١	٥٩٣	الكتب الموجودة في مكتبة سائزلي	مكتبة ومدرسة
١٢	٤٦١	الكتب الموجودة في مكتبة أرنبود	مكتبة ومدرسة
١٣	١٢٩	الكتب الموجودة في مكتبة الشيخ عبد الغفور	مكتبة خاصة
١٤	١١٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة مظهر	مكتبة رباط
١٥	١٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة حسين آغا	مكتبة خاصة
١٦	١٥٠	الكتب الموجودة في مكتبة فنايرجي	مكتبة ومدرسة
١٧	٢٠٦	الكتب الموجودة في مكتبة ثروت أفندي	مكتبة خاصة
١٨	١٥٧	الكتب الموجودة في مكتبة اكيلي	مكتبة ومدرسة
١٩	٥٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة سليم بيك	مكتبة خاصة
٢٠	٤٥٦٩	الكتب الموجودة في مكتبة المحمودية	مكتبة ومدرسة
	٢٢٦١٥	المجموع الكلي لعدد الكتب	

(١) الصديقي.... أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة. ص ١٩٥ - ١٩٦.

وذكرت سالنامة ولاية الحجاز التي صدرت في سنة ١٣٠٩هـ (١٨٩١/١٨٩٢م) أن بها ثماني عشرة مكتبة، وقد أوردت هذه السالنامة البيان التالي، الذي فصلت فيه عدد المصاحف والكتب التي كانت موجودة حينذاك في الروضة، وفي مدارس المدينة ومكتباتها[١].

جدول رقم (٢) عددالكتب في الروضة ومدارس المدينة ومكتباتها، كما ورد في سالنامة ولاية الحجاز عام ١٣٠٩هـ

م	العدد	النوع
١	١٠٨١	المصاحف الشريفة الموجودة بالروضة المطهرة
٢	٤٥٦٩	مكتبة مدرسة السلطان محمود خان
٣	١٦٦٩	مكتبة مدرسة السلطان عبد الحميد خان الأول
٤	٢٠٦٣	مكتبة مدرسة بشير آغا
٥	١٢٤٦	مدرسة الشفا التي أنشأها فيض الله أفندي شيخ الإسلام الأسبق
٦	١٢٤٦	مكتبة عارف حكمت بك شيخ الإسلام
٧	١٢٦٩	مكتبة مدرسة عمر أفندي قرة باش
٨	٥٩٣	مكتبة مدرسة مصطفى أفندي ساقزلي
٩	١٥٨	مكتبة أمين باشا شيخ الحرم السابق
١٠	٤٦١	مكتبة مدرسة مصطفى أفندي المسماة بالإحصائية
١١	١٢٩	مكتبة الشيخ عبد الغفور أفندي البخاري
١٢	١١٠٠	مكتبة تكية الشيخ مظهر أفندي
١٣	١٠٠	مكتبة مدرسة حسين آغا ناظر التكية المصرية السابق
١٤	١٠٠	مكتبة مدرسة أمين أفندي القنايرجي
١٥	٢٠٦	مكتبة محمد ثروت أفندي
١٦	١٠٥٠	مكتبة أحمد البساطي
١٧	١٥٧	مكتبة مدرسة الكيلي الناظر
١٨	٥٠٠	مكتبة سليم بك
	٢١٨٥٥	المجموع

(١) السابق.... ص ١٩٦ - ١٩٧.

وتقول سحر الصديقي: "ووجدتُ أن هناك من تناول مكتبات المدينة، فذكر أنها ثلاثًا وخمسين مكتبة إضافة إلى ما أشير فيما سبق منها، تحت اسم مكتبات مدرسية وهي: مكتبة مدرسة الشونة بحارة الأغوات، ومكتبة مدرسة ثروت باشا بزقاق الزرندي بحارة الأغوات، ومكتبة مدرسة العلوم الشرعية، ومكتبة مدرسة التجويد والقراءات بحارة الأغوات، ومكتبة البوشناق خارج باب المجيدي، ومكتبة مدرسة زقاق الشرجية بالساحة، ومكتبة مدرية الصادقية، ومكتبة مدرسة ثروت.

ومنها تحت اسم أربطة وهي: مكتبة رباط السنود بحارة الأغوات، ومكتبة رباط الهنود، ومكتبة رباط العجم، ومنها ما ذكره تحت مسمى مكتبة، وهى مكتبات مدرسية: مكتبة الكشميري بذروان بحارة الأغوات، ومكتبة أمين أفندي بورسلي بحارة الأغوات، ومكتبة الموقتية بحارة الأغوات، ومكتبة أزبك بحارة الأغوات، ومكتبة أمان الله خوجه السمرقندي خارج باب المجيدي، ومكتبة دار الأيتام، ومكتبة دار الحديث.

ومنها ما كان مكتبات خاصة، وهي: مكتبة خوشبيقي بحارة الأغوات، ومكتبة تكية أمير بخارى خارج باب المجيدي، ومكتبة طاهر إيشان، ومكتبة أمين باشا بين باب الرحمة وباب المجيدي، ومكتبة نورد الدين باي، ومكتبة آل المدني، ومكتبة آل هاشم، ومكتبة عبدالباقى الأيوبي الأنصاري، ومكتبة عابدين أفندي التركي، ومكتبة الشيخ الوزير، ومكتبة الأمير طوسون باشا، ومكتبة أمين باشا، ومكتبة الخوقندية، ومكتبة الخياري، ثم وجدت آخرَ عدَّها ثلاثًا وأربعين مكتبة، كما أن باحثًا آخر حصر عدد المكتبات العامة والخاصة بالمدينة المنورة فى بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتى العقد الثامن منه، فأوصلها إلى خمس وتسعين مكتبة[1].

وعندما زار شكيب أرسلان المدينة المنورة عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، اطلع بها على سبع عشرة مكتبة، وقدَّم وصفًا موجزًا لكل منها، فقال: أشهر المكتبات العمومية في المدينة المنوة وأجملها وأبدعها نظامًا، مكتبة المرحوم عارف حكمت بك شيخ الإسلام، فإنها لا تقل عن سبع عشرة مكتبة عمومية، مشرعة الأبوب للطلبة والنسَّاخ والمطالعين، نجد المجاورين يقتبسون من أنوارها، ويعيشون من كل حدب إلى ضوء نارها، وأهم مكتبة بعد مكتبة عارف حكمت هى المكتبة المحمودية المنسوبة إلى المرحوم السلطان محمود العثماني، وهي بجانب الحرم الشريف أيضًا إلى الغرب، كما أن مكتبة عارف حكمت هى منه إلى القبلة، ثم المكتبة الحميدية المنسوبة إلى السلطان عبدالحميد الأول رحمه الله،

(١) السابق...، ص ١٩٨.

ثم مكتبة بشير أغا، وهي مهملة نوعًا ما، ولا يجدها الإنسان مفتوحة الأبواب كلها كغيرها من دور الكتب، ثم مكتبة الصاقزلي (الساقزلي)، وهي شبيهة من هذا الوجه بمكتبة بشير أغا، ثم مكتبة العرفانية، وهي أشبه بما تقدمها، ثم مكتبة أمين باشا، وهي من أبدع المكتبات وأنفسها ترتيبًا، مشرعة الأبواب كل يوم إلى آخر النهار، وهي ثالثة ثلاثة مع المكتبة المحمودية والمكتبة العارفية، ثم مكتبة رباط سيدنا عثمان رضي الله عنه، ثم مكتبة ناظر الكلية، وهى مهمة تفتح أبوابها مرتين كل شهر، ثم مكتبة مدرسة ثروت، وهي قريبة الحال من التي تقدمتها، ثم مكتبة مدرسة قرة باش، وقد سرت إليها عدوى الإهمال، وطار إليها غبار السنين من جارتها...، ثم مكتبة حسين أغا، وهي دار كتب صغيرة مختصة بمدرسة حسين أغا منتظمة مفتوحة كل يوم، ثم مكتبة مدرسة إحسان، وهي مفتوحة أبدًا، ثم مكتبة الشيخ أحمد (البساطي)، وهي في بيت هذا الشيخ تحت نظر ولده محمد حسن أفندي، مشرعها جار لكل وارد، ثم مكتبة حوش العريضة في بيت السيد جمل الليل، وهي وقف على المستفيدين أيضًا، ثم مكتبة مظهر، وهي في تكية الشيخ مظهر بسكان التكية[1].

١/٤ - محتويات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة من المخطوطات حاليًا

وبداية نرصد ما كان موجودًا من المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في بدايات العهد السعودي، فنجد أن عددًا من مؤرخي المدينة المنورة في العصر الحاضر قد رصدوا المكتبات المختلفة بالمدينة، والتي كانت لا تزال قائمة بالمدينة المنورية فى بدايات العهد السعودي، ومعظمها كان مكتبات خاصة سواء كانت وقفية أو غير وقفية، وهو أمر يؤكد مدى حرص أهل المدينة على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات، ومعظم هذه المكتبات كان وقفيًا، وبعضها كان خاصًا أو تابعًا لمدرسة، ثم تحول برغبة أصحابها إلى مكتبات وقفية، ومن ذلك ما رصده على حافظ في كتابه (فصول من تاريخ المدينة) عند رصده للمكتبات بأنواعها المختلفة في بداية العهد السعودي الحاضر، فيقول: "يوجد في المدينة المنورة مكتبات لبعض المدارس لم تضم للمكتبة العامة، كما توجد مكتبات خاصة لأهل المدينة المنورة فيها نفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة نذكرها معتمدين على إحصاء لم يصل إلى درجة الحصر، وهي:

١ - مكتبة مدرسة ذوران، تحت نظارة آل المدرس.

٢ - مكتبة المدرسة الحميدية قرب حوش الجمال، تحت نظارة آل توفيق.

---

(١) السابق...، ص ١٩٨ - ١٩٩.

٣ - مكتبة مدرسة العلوم الشرعية قرب المسجد النبوي في شارع الملك عبدالعزيز، تحت نظارة السيد حبيب محمود.

٤ - مكتبة دار الحديث قرب باب بصري، تابعة للجامعة الإسلامية.

٥ - مكتبة الجامعة الإسلامية في سلطانة بالجامعة.

٦ - مكتبة دار الأيتام (دار الرعاية الاجتماعية) في باب المجيدي، قرب ميدان المسجد النبوي.

٧ - مكتبة آل صافي، بدارهم في الساحة.

٨ - مكتبة آل هاشم، بدارهم.

٩ - مكتبة آل المدني، بدارهم.

١٠ - مكتبة آل سعد، بدارهم.

١١ - مكتبة آل البساطي في زقاق المحكمة القديمة، قرب حوش الجمال.

١٢ - مكتبة آل الخياري، بدارهم.

١٣ - مكتبة الشيخ عبدالباقي.

١٤ - مكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، لدى ابنه الشيخ سعيدشلبي.

١٥ - مكتبة المدرسة الثانوية في ميدان العنبرية

١٦ - مكتبة آل الفقيه بدارهم، لدى الشيخ جعفر فقيه.

١٧ - مكتبة آل الداغستاني، لدى الشيخ عبدالحميد داغستاني ابن الشيخ محمد داغستاني رحمه الله.

١٨ - مكتبة آل البرزنجي، بدارهم في باب المجيدي.

١٩ - مكتبة الشيخ محمد المختار (الجتكي) الشنقيطي، بدارهم بباب الكومة.

٢٠ - مكتبة الشيخ محمد الأمين (الجنكي) الشنقيطي، بداره.

٢١ - مكتبة آل البري.

٢٢ - مكتبة السيد محمود أحمد والسيد حبيب أحمد، بدارهم في العنبرية.

٢٣ - مكتبة الشيخ محمد الخضري الجكني، بداره في حوش وردة بزقاق الطيار.

٢٤ - مكتبة الشيخ أحمد البساطي، لدي ابنه محمود.

٢٥ - مكتبة السيد عبيد المدني، بداره في شارع الجامعة الإسلامية.

٢٦ - مكتبة السيد أمين مدني، بداره قرب ثنية الوداع.

٢٧ - مكتبة الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري.

٢٨ - مكتبة علي حافظ وعثمان حافظ"[١].

ونلاحظ من خلال ما سبق تنوع المكتبات التي ذكرها على حافظ، ما بين الوقفية وغير الوقفية، وأنها لم تشمل جميع لمكتبات بالمدينة المنورة، وبعضها يتبع مؤسسات تعليمية ومعظمها خاص، ولا زال بيد أصحابه، ومنها مكتبة رقم ٢٢ مكتبة السيد حبيب التي تم إنشاء مبنى كبير لها بجوار جبل أُحد، وهي وقفية عامة ومفتوحة للجميع. وأورد في رقم ٢٣ مكتبة الشيخ محمد الخضري الجنكي الشنقيطي، بداره في حوش وردة بزقاق الطيار، وقد انتقلت إلى دار ابنه محمد الأمين بالكتبية في بداية طريق قباء. وكان سفيرًا للأردن في السعودية حينها. ثم ضمَّ إليها مكتبته، وأوقفهما في مكتبة الملك عبدالعزيز. وكذلك مكتبة آل صافي، بدارهم في الساحة رقم (٧)، ومكتبة الشيخ عبدالقادر شلبي، لدى ابنه الشيخ سعيد شلبي رقم (١٤) هما من المكتبات الوقفية المدمجة في مكتبة الملك عبد العزيز أيضًا. وتظل مكتبة مدرسة العلوم الشرعية من مكتبات المدارس الوقفية القليلة الباقية إلى يومنا هذا.

وسنقتصر هنا على رصد المكتبات التي تحوي المخطوطات فقط، حيث إنه توجد مكتبات وقفية حديثة، ولكنها لاتحتوي على أي من المخطوطات، فهي خارج نطاق هذا البحث.

وقد كان لأمر الملك سعود بن عبدالعزيز بإنشاء المكتبة العامة بالمدينة المنورة للمحافظة على ما يمكن جمعه من المكتبات الوقفية - دور أساسي ساهم في الحفاظ علي ما تبقى من المصاحف والمخطوطات والذخائر، بعد الكوارث الطبيعية والتعديات البشرية التي تعرضت لها، وكان حاسمًا في الحفاظ على ما تم من إهداء لمكتبات المدينة ومدارسها وأربطتها الوقفية. وعن مكتبة المدينة المنورة العامة هذه وما حوته من المكتبات الوقفية التي تم تجميعها فيها يقول علي حافظ: "مكتبة المدينة المنورة العامة: أسستها الحكومة السعودية سنة ١٣٨٠هـ. وأنشأت مبناها في جنوب المسجد النبوي بجوار المحكمة الشرعية وفي شرقها، يفصل بينها وبين المسجد النبوي شارع. وتشتمل على (١٤٧٤٨) كتابا بين مخطوط ومطبوع، وقد أنشئ المبنى ليضم جميع مكتبات المدينة ومكتبات المدارس والأربطة وغيرها.

(١) حافظ...، فصول من تاريخ المدينة المنورة، ص ٢٥٥.

جدول رقم (٣) لموجودات المكتبات الوقفية التي كانت مدمجة بالمكتبة العامة بالمدينة المنورة

عدد مسلسل	اسم المكتبة	عدد الكتب مطبوعة ومخطوطة
١ ـــ	مكتبة رباط سيدنا عثمان	١٥٣٧
٢ ـــ	مكتبة مدرسة الشفاء	١٥٢٠
٣ ـــ	مكتبة مدرسة الساقزلي	١٠٢٤
٤ ـــ	مكتبة مدرسة الإحسانية	٣٧٤
٥ ـــ	مكتبة المدرسة العرفانية	١٣٥٠
٦ ـــ	مكتبة رباط الجبرت	١٠٥
٧ ـــ	مكتبة المدرسة القازانية	٢٩٥٢
٨ ـــ	مكتبة مدرسة قره باش	١٥٠
٩ ـــ	مكتبة الشيخ عمر حمدان	٢٥٧٨
١٠ ـ	مكتبة الشيخ يس بخيت	١٥٠/١٥٩٠
١١ ـ	مكتبة عباس حلمي باشا	٢٠٠
١٢ ـ	مكتبة الشيخ عبد الحي أبي خضير	٦٠
١٣ ـ	مكتبة سالم أزمرلي/وزين العابدين توفيق	١٧٠
...	موجودات مكتبة المدينة العامة	٢٥٧٨
...	المجموع	١٤٧٤٨

وقد نقلت محتويات هذه المكتبة بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز للمسجد النبوي إلى مكتبة الملك عبدالعزيز في مقرها الحالي، وخُصِّص لها مكان مستقل عن المكتبات الوقفية الأخرى، وتحتوي على (١٧٨) مخطوطًا، و(٧٧٦٦) كتابًا مطبوعًا منها النادر والحديث، وذلك خلاف المخطوطات التي توجد بكل مكتبة وقفية مستقلة بذاتها، كما يوضحه الجدول رقم (٣).

وقد كان للشيخ جعفر فقيه فضل كبير في تأسيس هذه المكتبة، وإمدادها بكل ما تحتاج إليه من أثاث وتحف وغيرها ، إضافة إلى حرصه الشديد على الحصول على بعض المكتبات الخاصة والمدرسية ومكتبات الأربطة التي كون منها نواة هذه المكتبة، وبلغ عدد المكتبات التي قام بجمعها في عهده أكثر من ثلاث عشرة مكتبة متنوعة، كما سعى إلى جلب كتب لها من أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي(١).

(١) السابق....، ص ٢٥٧.

ويضيف علي حافظ: "وأذكر أن أول من أُسندت إليه إدارة هذه المكتبة الأستاذ الشيخ جعفر فقيه، ورغم أن الأستاذ فقيه قد استلم المكتبة عبارة عن مبان وليس فيها كتب تذكر أو دواليب لحفظ الكتب، إلا أنه أدارها على خير وجه، وجعل منها مكتبة كبرى ذات شأن ونفع كبير للعلماء وطلاب العلم... عمَّرها بالكتب الثمينة، وتحصَّل لها على دواليب رائعة معظمها كانت هدايا تحصَّل عليها بجهده وعنايته وفقهه وثقة الناس به، وأصبحت هذه المكتبة موردًا عذبًا للعلم وطلاب العلم، وكانت الخدمات فيها عظيمة ومواعيد فتحها منظمة تنظيما دقيقًا"(١).

وتحتوي المجموعة المخطوطة لهذه المكتبة على مخطوطات في التفسير، والقراءات، والعقيدة، والحديث، والفقه الحنفي، والسيرة النبوية، والوعظ والإرشاد، والنحو، والبلاغة، والأدب، وبالإضافة إلى مجموعة رسائل في فنون متنوعة حوتها عدة مجاميع خطية.

وقد توزعت بيانات الكتب المطبوعة لهذه المكتبة في فهرس من مجلدين صفحاتهما (٢٧٩) صفحة من القطع الكبير، وتحوي مجموعتها كتبًا نادرة وحديثة تشمل فنون التفسير والقراءات والتجويد والحديث والسيرة النبوية، والفقه الحنبلي والحنفي والشافعي والمالكي، والفقه علي المذاهب الأربعة والفرائض والعقيدة، والمواعظ، والاقتصاد، والاجتماع، واللغة والنحو، والصرف، والرياضيات، والطب، والأدب، والتاريخ والجغرافيا، والتراجم، وتتميز هذه المجموعة بأنها من إصدارات القرن الرابع عشر الهجري. بالإضافة إلى كمية أخرى طُبعت في القرنين: الثالث عشر والخامس عشر الهجريين كما تتميز هذه المكتبة باشتمالها على عدد من الكتب ذات المجالات المتعددة، إضافة إلى تعدد النسخ من الكتاب الواحد. وقد صدرت هذه الكتب عن عدد كبير من المطابع المشهورة مثل: الترقي، والماجدية، والعامرة، وبولاق، والخيرية، والميمنية، والسعادة، والأهرام، والمعارف، ودار الكتاب، والحلبي، وغيرها مما هو موضح تفصيلا في فهرس المكتبة. كما تحتوي المكتبة على عدد من المجاميع التي تحوي عددًا من الرسائل في فنون متعددة لمؤلفين مختلفين.

٢/٤ - المخطوطات المودعة في المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة حاليًا:

حافظت المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة بأنواعها المختلفة على الكثير من المصاحف الأثرية، والمخطوطات النادرة، وفي مختلف العلوم الشرعية والاجتماعية، وحتى العلوم

(١) السابق.... ص ٢٦٠.

البحتة، ولم يكن ذلك حكرًا على اللغة العربية فقط، بل شملت لغات أخرى، مثل: التركية والفارسية والهندية.

وبالرغم من كل ما تعرضت له هذه المكتبات من الكوارث الطبيعية، والتعديات البشرية، فقد حفظت لنا كنوزًا ونوادر ثمينة تمثلت فيما تحويه مكتبات المسجد النبوي الشريف، ومكتبة المصحف، وكذلك المكتبات الوقفية التي تم تجميعها في مكتبة المدينة العامة بمبادرة من الملك سعود بن عبدالعزيز، وعند الشروع في توسعة المسجد النبوي الشريف التي تطلبت إزالة الأحياء الملاصقة له، والتي ستشمل مكتبة المدينة المنورة العامة المذكورة آنفًا، وكذلك مكتبات وقفية أخرى، ومن أهمها مكتبة الشيخ عارف حكمت وبشر أغا. أصدر الملك فيصل رحمه الله توجيهاته بإنشاء مكتبة الملك عبدالعزيز، وإسناد مهمتها إلى وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، لتقوم بتجهيزها والإشراف عليها ضمن منظومة المكتبات الوقفية بالمملكة العربية السعودية، ولتكون هذه المكتبة قادرة علي الحفاظ على إرث المدينة المنورة العلمي والثقافي والحضاري المتمثل في المكتبات الوقفية المدمجة بها. وعند تأسيسها كانت تضم ثلاثا وعشرين مكتبة وقفية، هي حصيلة ما كان في مكتبة المدينة المنورة العامة من المكتبات إضافة إلى مكتبات وقفية أخرى، وتتابع بعد ذلك إيداع المكتبات، الوقفية إليها، حتى تجاوز عددها حاليا ٢٥ مكتبة وقفية.

وقام الملك فيصل بن عبدالعزيز بوضع حجر الأساس لها في يوم الثلاثاء ١٣٩٣/١/٣هـ، الموافق ١٩٧٣/٢/٧م، وافتتحها الملك فهد بن عبدالعزيز في يوم الثلاثاء ١٤٠٣/١/١٦هـ الموافق ١٩٨٢/١١/٢م(١)، ونقلت مكتبة المدينة المنورة العامة بما فيها من مكتبات وقفية إليها، كما ألحقت بها بعد ذلك مكتبة الشيخ عارف حكمت ومكتبة رباط بشير أغا، وبعض المكتبات الشخصية التي تم وقفها على مكتبة الملك عبدالعزيز[1].

وإضافة لما تحويه مكتبة المسجد النبوي الشريف، ومكتبتي المصحف، والمكتبات الوقفية الأخرى المدمجة في مكتبة الملك عبدالعزيز ـ من المخطوطات، توجد مكتبات وقفية أخرى بالمدينة المنورة تحتوي على نوادر المصاحف والمخطوطات، مثل مكتبة رباط مظهر، ومكتبة السيد حبيب محمود التي تم افتتاحها قبل ثماني سنوات كمكتبة وقفية عامة، في مبنى من الطراز الحديث ومجهزة بالنظم الإلكترونية لخدمة الرواد. وقد توصلت هذه الدراسة إلى حصر المصاحف والمخطوطات التي لا زالت محافَظًا عليها في مكتبات المدينة المنورة الوقفية، والتي يوضحها الجدول رقم (٤).

(١) المزيني... مكتبة الملك عبدالعزيز بين الماضي والحاضر، ص ٣٣.

جدول رقم (٤) مقتنيات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة من المصاحف والمخطوطات

الرقم	اسم المكتبة	نوع المكتبة	موقع المكتبة	العدد	ملاحظات
١	مكتبة المسجد النبوي	مكتبات المساجد	بالمسجد النبوي	٢٠٠٠	٥٠ ألف رقمي
٢	مكتبة المصحف بالمسجد	= = =	= = =	٢٧٠	مصاحف خطية
٣	مكتبة المصحف الشريف	= = =	م الملك عبد العزيز	١٨٧٨	= = =
٤	= = = =	= = =	= = =	٨٤	ربعة قرآنية
٥	مكتبة الشيخ عارف حكمت	وقفية عامة	= = =	٤٣٨٩	
٦	= = = =	= = =	= = =	٦٣٢	مجاميع — وتحتوي على ٣٨٣٨ رسالة
٧	المكتبة المحمودية	= = =	= = =	٣٣١٤	
٨	مكتبة مدرسة بشير أغا	المدارس الوقفية	= = =	١١٧٩	
٩	مكتبة مدرسة الشفاء	= = =	= = =	٩٨٠	
١٠	مكتبة رباط قرة باش	مكتبات الأربطة	= = =	٨٢٠	
١١	مكتبة رباط عثمان بن عفان	= = =	= = =	٧٦٠	
١٢	مكتبة مدرسة الساقزلي	المدارس الوقفية	= = =	٥٣١	
١٣	مكتبة رباط مظهر	مكتبات الأربطة	في دارهم	٤٠٠	
١٤	مكتبة السيد حبيب	وقفية عامة	في حي أحد	٤٠٠	
١٥	= = = =	= = =	= = =	١١٥	مصاحف مخطوطة
١٦	مكتبة السيد صافي الجفري	وقفية خاصة	م الملك عبد العزيز	٢٠٢	
١٧	مكتبة مدرسة كيلي ناظري	المدارس الوقفية	= = =	١٩٢	
١٨	مكتبة المدينة العامة	وقفية عامة	= = =	١٧٨	
١٩	مكتبة مدرسة القازانية	المدارس الوقفية	= = =	١٥١	
٢٠	مكتبة الشيخ عمر حمدان	وقفية خاصة	= = =	١٣١	
٢١	مكتبة المدرسة الإحسانية	المدارس الوقفية	= = =	١١٤	
٢٢	مكتبة الشيخ عبد القادر شلبي	وقفية خاصة	= = =	٨٨	
٢٣	مكتبة المدرسة العرفانية	المدارس الوقفية	= = =	٨٤	
٢٤	مكتبة الشيخ محمد الختني	وقفية خاصة	= = =	٥٢	
٢٥	مكتبة رباط الجبرت	مكتبات الأربطة	= = =	٢٥	
٢٦	مكتبة محمد الخضر الشنقيطي	وقفية خاصة	= = =	١٩	
٢٧	مكتبة محمد نور كتبي الحسني	= = =	= = =	٤	
		إجمالي المصاحف	والمخطوطات:	١٨,٩٩٢	
		الإجمالي مع	الرسائل	٢٢,١٩٨	

ومن الجدول رقم (٤) يتضح لنا أن المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة حفظت ما يزيد على الألفين من المصاحف النادرة،التي يقع معظمها في مكتبة المصحف الشريف، وتضم هذه المكتبة مجموعة تقدر بـ (١٨٧٨) ألف وثمانمائة وثمانية وسبعين مصحفًا من المصاحف الخطية النادرة القديمة (القرآن الكريم) يمتد تاريخها إلى العصر العباسي، بالإضافة إلى (٨٤) أربع وثمانين ربعة قرآنية. وهذه المكتبة كانت في الروضة الشريفة، ثم نُقلت بأمر الملك فيصل إلى الدور العلوي فوق باب خوخة الصديق بالمسجد النبوي، ثم نقلت مع مكتبة المسجد النبوي إلى مكتبة المدينة العامة، وعادت مكتبة المسجد النبوي إليه، بينما نقلت مكتبة المصحف الشريف إلى مكتبة الملك عبدالعزيز.

"وتمثل هذه المصاحف في مجملها تاريخًا للمراحل التي مر بها تدوين المصحف الشريف، ومن حيث الورق المستخدم للكتابة والمداد المكتوب به وتنوع الخطوط: فمنها الكوفي، والثلث، والنسخ، والرقعة، إلى غير ذلك من الخطوط. ويعود تاريخ أقدم مصحف إلى عام ٥٤٩هـ، وهي من أزهي فترات الإبداع في فن الخطوط العربية وهو بخط أبي سعد محمد إسماعيل بن محمد، وحجمه (٢٠ × ٣٠سم) وتاريخ إهدائه سنة ١٢٥٣هـ.

ويتميز بعض هذه المصاحف بسمات وصفات مختلفة يصعب وصف كل واحد منها على حدة، إذ تعد كل نسخة من مصحف أو ورقة منه عملاً علميًا يحتاج للعرض والدراسة والبحث، ومن هذه المصاحف، مصحف مخطوط ذو حجم كبير مقاسه ١٤٢/٥ × ٨٠سم، وزنه ١٥٤ كيلوجرام، وهو بخط غلام محيي الدين سنة ١٢٤٠هـ. وتحفظ المصاحف داخل خزانات خاصة بها مصنوعة من الخشب"[١].

وتحتوي المكتبات الوقفية الأخرى مثل مكتبة الشيخ عارف حكمت، والمحمودية، وبشير أغا ـ على الآلاف من المخطوطات النادرة، وكذلك بقية المكتبات الوقفية السبع والعشرين، وهي ما تبقى للمدينة المنورة من إرثها العلمي، وحفظت لها ما يزيد على اثنين وعشرين ألفًا من المخطوطات القيمة.

(١) السابق.... ص ٥٣ - ٥٤.

الخاتمة

لقد كان للمكتبات الوقفية دور مهم في الحفاظ على موروث الأمة الإسلامية العلمي عبر التاريخ، وفضلا عن أنها كانت مؤسسات علمية راقية تخرَّج فيها كبار العلماء من أنحاء العالم الإسلامي، فإنها أيضًا ساهمت بشكل حاسم في الحفاظ على كنوز الأمة من المخطوطات في مختلف العلوم والفنون وعلى مدى زمن طويل. وكنموذج لذلك نجد أنه بالرغم من كل ما تعرضت له مكتبات المدينة المنورة من الكوارث الطبيعية، والتعديات البشرية فقد حافظت مكتباتها الوقفية على آلاف المخطوطات، وخاصة المصاحف التي يتجاوز عددها الألفي مصحف تمثل واحدة من أندر المجموعات في موضوعها وفي تنوعها.